روايات عالمية



عودة الأسير



روايات عالمية

عودة الأسير

مأساة انسانية رائعة من مآسى الحروب

للكاتب الانجليزى

جيمس هيلتون

الفصل الأول

فى صبيحة اليوم الحادى عشر من شهر نوفمبر عام ١٩٣٧، وفى الساعة الحادية عشرة على وجه التحديد ، تطلع أحد المسافرين الى ساعة جيبه ثم أعلن الوقت فى صوت مرتفع. وللحال بادر جميع المسافرين الذين احتوتهم عربة الاكل فوضعوا ما بأيديهم من أدوات الطعام والاقداح أو الصحف والمجلات وأخلد كل منهم الى صمت عميق امتد بهم دقيقتين كاملتين ..

كان اليوم ذكرى الهدنة ، وكانت الدقيقتان لذكر الشهداء ، وفيهما يسود الصمت أرجاء الامبراطورية من أقصاها الى أقصاها فى مثل هذه اللحظة من كل عام تمجيدا للذين سقطوا صرعى فى الحرب الماضية .

وخلال هذه الثوانى التى استولى فيها السكون الرهيب على المسافرين فعقل ألسنتهم ، وتركهم يحملق كل منهم فى وجه الآخر ، أو يمد بصره خلال نافذة القطار وعبر الفضاء العريض المنبسط أمامه الى أغوار الماضى السحيق متلمسا ألوانا من الذكريات - خلال هذه الثوانى القلقة المضطربة لاحظت الرجل الجالس أمامى ملاحظة دقيقة لاول مرة منذ جمعتنا المركبة

كان أسود الشعر نحيف القوام ، حسن الصورة ،وأغلب الظن انه كان فى الاربعين من عمره أو ما الى ذلك ، يبدو فى حلة من الوقار تتفق وحسن صورته وأناقة بزته .

وأخذت أرقبه وهو يمد بصره خلال نافذة القطار .. ورأيت نظراته تشتد فتصبح تحديقا ، وهذا يمتد ليكون شخوصا ، فلا تنصرف عيناه الى يمين أو يسار ، أشبه بمن

يتبين صديقا وسط لجة من الجماهير فتستقر نظراته عليه ولا تنصرف عنه ٠

وأقبل القطار على منحنى فمالت بنا العربة فجأة وانسكب شيء من قدح القهوة الموضوع أمامى ، فجعلت هذا سبباالاتصال الحديث بيننا وما أن انتهتدقيقتا الصمت حتى بدأت بالاعتذار عما حدث ٠ ورد الرجل الى ماحوله ، وأفاق من تأملاته العميقة وقبل أن يستجمع شوارد ذهنه ويجيبنى انتقلت الى موضوع آخر من الحديث ، فأخذت أطرى محاسن الطبيعة التى كانت تقوم على جانبى الطريق الحديدى ، وخاصة سلسلة الجبال القريبة التى كانت الثلوج تكسو قممها ٠ وقلت أشير الى واحد منها تفرد بينها بقمتين متجاورتين كالسنامين :

ـ ٠٠٠ هذا جبل « ميكل » ٠٠ !

وأدهشتنى عند ما سألنى على الفور :

ـ هل تعرف ماذا كانت توجد بين قمتيه بحيرة صغيرة؟

وسمع حوارنا اثنان من المسافرين كانا يشغلان المائدة المجاورة وكانا من أهل المقاطعة التى يجتازها القطار ٠ فتطوع أحدهما وأجاب مؤكدا وجود بحيرة ، بينما أنكر رفيقه ذلك، وبدأ بينهما جدال ٠ فملت نحوه وقلت همسا :

ـ مهما يكن من شيء فاننى جد واثق مما أقوله ، لقد تسلقت ذلك الجبل بالامس فقط ولا أثر لبحيرة أو بركة فى قمته :

ـ احقا تقول ؟

ـ أجل ٠٠ اننى من هواة تسلق الجبال ولا أنفك عن ممارسة هذه الهواية طوال العام ٠

وانتقلنا الى غير ذلك من الموضوعات ٠ ومر القطاربفوج من الجنود عائدين الى أحد المعسكرات القريبة مما أوحى الينا

بأن نطرق باب السياسة ونناقش احتمال نشوب حرب ثانية. وكان أن سألته عما اذا كان قد أدى الخدمة العسكرية فى الحرب الماضية ؟

فاجابنى بأنه قد أداها وانه يحمل لها كثيرا من الذكريات، وأخذ يقص على قصة غريبة تتلخص فى أنه خلال الشهور المنكرة التى اشتدت فيها حرب الخنادق فى فرنسا خطر لاحد كبار الضباط البريطانيين أن يدبر مكيدة للاعداء تنزل بهم خسائر فادحة وذلك بأن يمهد لاحد رجاله سبيل الاتصال بالاعداء فى خطوطهم مدعيا بأنه من جواسيسهم ويزودهم ببعض المعلومات القليلة الاهمية ـ على أن تكون صحيحة حتى يثقوا به ويطمئنوا الى أخباره ـ وعندئذ يمدهم بمعلومات تستدرجهم الى شرك محكم ينصب لهم فيكلفهم ثمنا باهظا.

كانت تلك هى الخطة الموضوعة. ونفاذ الخطوة الاولى منها ـ أى احراز الجاسوس الزائف لثقة الاعداء ـ كان يقتضى بعض التضحية. فكانت القيادة تبعث ببعض الدوريات وتترك الجاسوس الموهوم ينقل خبرها للاعداء، فيتربصون لها بمدافعهم الرشاشة ويفتكون بها.

وعهد ذات مرة الى ضابط شاب متحمس بالخروج على رأس احدى هذه الدوريات المقضى عليها بالاعدام، ولم يكن المسكين يعرف من أمر هذا المصير المنكر شيئا، وما أن اقترب برجاله من خطوط الاعداء حتى أخذوا يصلونهم حديدا ونارا من مكامن مأمونة أعدت من قبل على ضوء معلومات الجاسوس الزائف. وقفز الضابط الشاب ومن بقى من رجاله الى حفرة عميقة يحتمون بها من الهلاك. وعندما أقبل الظلام وأرخى سدوله وساد السكون الجبهة، أمكنه ـ وكان قريبا من خطوط الاعداء ـ أن ينصنت الى بعض العبارات المقتضبة المتبادلة،

وكان يجيد اللغة الالمانية اجادة تامة ..

وعندما استعرض هذه العبارات فى ذهنه الى جانب بعض العبارات الاخرى التى سمعها عفوا فى مقر قيادة فرقته، أمكنه من هذه المعلومات التى جمعها من الجانبين أن يتبين الحقيقة المؤلمة . لقد دفعت به القيادة خصيصا ليلقى ورجاله حتفهم فى هذا المكان وليكونوا ثمنا يكتسب به الجاسوس الزائف ثقة الاعداء . وكأنما عز عليه أن يكون هذا مصيره وأن يكون الفريقان المتحاربان قد تآمرا على قتله ...

وفيما هو يفكر ويقدر اشتعلت الجبهة ثانية وعاد التراشق بالنيران وسقطت قنبلة على مقربة من الحفرة فقضت على رفاقه وأصابه منها جرح عميق فى رأسه .

ـ وماذا حدث له بعد ذلك ؟

ـ شفى بعد علاج طويل . شفى تماما .. فيما عدا آثار يسيرة تلازمه وأهم مظاهرها فقدان الذاكرة . ولا تظن انه يحمل فى نفسه أى حقد على أحد ، لانه يعلم ان أنزال الهزيمة بالاعداء هو هدف اسمى فى الحرب يجب أحرازه بأى ثمن .

انها لهجة دفاعية كأنما تحاول اقناع نفسك المرة بعد المرة بصواب ماحدث !

ـ ربما كان الامر كذلك .. !

ـ وأغلب الظن انك انت هذا الضابط الشاب الذى نجا من براثن الموت المحقق .. ؟

وتردد فى الاجابة قليلا ثم قال وقد ارتسمت على فمه ابتسامة هادئة :

ـ لست أظنك مصدقى لو أدعيت ذلك ، وعلى كل حال الا يجد الانسان شيئا من الغرابة كلما فكر وقدر مرتين كيف

تآمر الفريقان على قتله ؟ وهلا يكون للحياة التى ينتزعها انتزاعا من براثن هذا الموت المزدوج طلاوة أكثر ولذة أعظم ؟

وساد السكون بيننا بعض الوقت وانتظرت أن يعود لاستئناف حديثه ولكنه لم يفعل • ولم اسمعه يتكلم الاعندما نادى الخادم ليأمر بشراب ، وشعرت بأنه يخفى وراء هذه الحركات الظاهرية المتكلفة مجهودا جبارا يبذله فى سبيل جمع شتات فكره والسيطرة عليه • فقلت أحاول جس نبضه :

ـ ولنعد الآن الى حديثنا ••

ولكنه قاطعنى قائلا :

ـ كلا •• دعنا مما فات •• دعنا من الحرب وحديثها • فالناس من الحرب الماضية فى ملل ومن المقبلة فى وجل .

ـ الا فى يوم واحد •• هو اليوم بالذات ••

ـ اجل ، وشكرا لدقيقتى الصمت رغم أنهما أقرب ماتكونان الى المظاهر المسرحية

ـ لقد اصبت عندما قلت « شكرا » فما احوجنا جميعا الى دقيقتى الصمت اللتين يشعر فيهما كل فرد بالحرية المطلقة •• حرية الافلات من قيود التقاليد والمظاهر

ـ اذن فلست ترى ضيرا فى تجديد هذه الذكرى مرة كل عام • ؟

ـ بل على النقيض من ذلك أرى فيها تطهيرا لبعض مآخذنا الشاذة كأمة ذات تقاليد ••

ـ ربما كان الامر كذلك اذ راقت لك تلك النظريات الغامضة المضطربة التى ينادى بها دعاة التحليل النفسى

ـ كأنى بك لاتقر شيئا منها !

ـ انى جد آسف اذا كنت من انصار هذه النظريات ••

ـ لقد اهتممت بدراسة التحليل النفسى حقا وبعثت

بأكثر من رسالة فيه الى الجمعية الفلسفية

وأطرق برأسه وانصرف الى مطالعة صحيفة كانت في يده ، ورفع رأسه بعد قليل وأخذ يتطلع من النافذة وقدلاحت ابنية الضواحي • وما ان تبين ان القطار أوشك ان يبلغ نهاية المرحلة حتي بدأ عليه نوع من القلق كأنما بقي لديه شيء يريد ان يفضى الى به وبسرعة • وصح ماتوقعته اذ التفت الى وقال في شيء من الاهتمام :

ـ استمع الى اذن •• أنصت •• ولا تضحك • فلربما كانت هذه الحالة تقع في دائرة ابحاثك النفسية • انني أشعر في بعض الاحيان ـ ولربما كان من السخف ان يتفوه الانسان بهذه العبارة ـ اشعر بأنني شخص آخر • وفي بعض الاحيان يكون سماع نغمة عارضة أو شم رائحة ما أو رؤية كلمة أو عبارة في صحيفة سببا لتذكرى هذا الشخص الآخر •• لبرهة •• لبضع ثوان •• وقبل ان يستقر تفكيرى واجمع شتات ذاكرتي تفلت الفرصة ويمحى كل شيء ، وارد الى نفسي كما يستيقظ الانسان من حلم سريع لايترك اثرا في الذاكرة •

فتراني مثلا عندما رأيت هذا الجبل الذى مررنا به •• شعرت بأنني كنت هناك • واني لعلى ثقة من انني تسلقته ، واني لارى البحيرة هناك رؤية العين •• بين قمتيه • كيف لا وقد استحممت فيها ثم استلقيت في ظل صخرة هناك ،وعندما استيقظت كانت الشمس قد تحولت وغمرتني بأشعتها • ومع هذا اراني أميل الى الاعتقاد بان شيئا من هذا لم يحدث ، لانك قلت انك تسلقت الجبل بنفسك ولم تر بحيرة ما ! الا ترى ان كل هذه التصورات سخف ولغو ؟

ـ كلا •• مطلقا ، فهي ليست بالتجربة الغريبة •

ـ وكيف •• ؟

– لقد اختلفت آراء علماء التحليل النفسي في تأويل مثل هذه الظاهرة · فالاستاذ « دان » ينسبها الى حلم قديم ترك بعض الآثار في الذاكرة · وجدير بك أن تقرأ كتابه « تجربة مع الزمن » ، الذي يذهب فيه الى ان الاحلام تحوى كافة تنبؤات المستقبل ، ولكننا ننساها ولا نذكرها الا عندما تتحقق ونراها تفسر في عالمنا المادى ·

– اذن فذكرى الجبل هذه ليست سوى آثار حلم قديم علقت بذاكرتي

– ربما ، واني لاجد في هذه النظرية تسلية كبرى · وعلى كل حال فهذا الشعور الذى ينتابك طبيعى وليس فيه أى شيء يسبب القلق !!

– ولكنى لا اكتمك الحقيقة ، انالا أراه طبيعيا أو عاديا··

– اتعنى انه قد اثار اهتمامك وسبب لك شيئا من عدم الاطمئنان ··

– ربما ·· الى حد ما · ولكن ·· لست أرى سببا يدعونى لان أفرض عليك مشاطرتى هذا القلق · انهما دقيقتا الصمت قد أثارتا بيننا هذا الموضوع ·· فلنطرق غيره من الاحاديث لقد كان كل همى ان اتثبت من اننى لست معتوها بمعنى الكلمة

– اذا أردت الناحية العامة فهنالك نظرية تقول ان معظم الناس مصابون بحالات من الخبل أو الجنون تتباين ألوانها وتختلف درجاتها،ولكنها تختفى وراءالمظاهر الخارجيةالسطحية التى يبدون فيها ، ولا سبيل الى تبينها الا بالدراسة الطويلة والمراقبة الدقيقة

– اذن فانت لاترى فى هذا الشذوذ الذى ينتابذاكرتى خطرا يخشى منه ؟

ـ طالما انك تسألني النصيحة ، افلا تود ان أكون صريحا؟
ـ طبعا
ـ لست أدرى ماذا تعمل أو ما مهنتك ؟ ولكن من المحتمل جدا ان يكون الارهاق سببا من أسباب هذه الحالة ·· ويكون العلاج هو الراحة التامة ··
ـ لست فى حاجة الى اخصائى فى التحليل النفسى ليقول لى ذلك ، لقد سمعت الشىء نفسه من طبيبى الخاص كل مرة زرته فيها ··
ـ ولماذا لا تتبع نصيحته ؟
ـ لسبب واحد ·· يشاء حظى ان يدفع بى وسط لجة الحياة العامة ·· وهى كالطاحون التى لاتتوقف · وأنا من جهتى لا أجد سبيلا للراحة الا اذا توقفت · واليك على سبيل المثال نموذجا من مشاغلى اليومية دونته سكرتيرتى فى دقة وعناية ··
وأخرج مفكرته من جيبه وأخذ يقلب صفحاتها ثم قرأ :
ـ « ··· بعد ظهر اليوم ·· » جمعية كالدربرى للتاريخ والحفريات » ·· وفى المساء حفلة استقبال فى احدى السفارات· وغدا ·· اجتماع قبل الظهر لمجلس ادارة احدى الشركات · ثم دعوة غداء · والعشاء فى كمبردج حيث القى كلمة فى اجتماع ما ·· »
ـ أراها كلها على شىء من الاهمية · وان جاز أن تسقط شيئا منها فليس سوى دعوة الغداء ظهر الغد ·
فتطلع الى مبتسما وقال :
ـ وهذا ماسأفعله بالضبط على الرغم من أن الغداسيكون فى منزلى ·
والى هذه المرحلة من الحديث لم يكن قد افضى الى باسمه

بل انني تلمست ان بقاء كل منا مجهولا من الآخر قد شجعه على التمادى فى الحديث • وكان القطار قد بلغ محطة سانت بنكراس وأخذ يتباطأ فى محاذاة افريزها • فنهض وهـو يقول :

ـ لقد سررت من هذا الحديث • ولربمـا جمعت بيننا الايام ثانية •• من يدرى ؟

وكنت قد شعرت نحوه بميل كبير ، وتلمست فى لهجته اخلاصا غير قليل مما حدا بى أن أجيبه :

ـ اذا كانت حفلة العشاء فى كمبردج التى أشرت اليها هى التى ستقام فى الكلية غدا ، فجدير بنا أن نتعارف من الآن لانني عضو فى لجنة الاستقبال ، واسمى هاريسون ••

ـ أحقا •• ؟

ـ ولست أدرى ما برنامجك بالضبط ، الا أنه يسرنى على كل حال أن تشرف مسكنى فى ابنية الطلبة بعد انتهـاء الحفلة لنتناول معا قدحا من القهوة

وأجاب فى اقتضاب وهو يجمع صحفه ويهم بالانصراف : شكرا •••

وكأنما خطر له أن تجاهل الاسم الذى قدمته له لايتفق وقواعد اللياقة فاستطرد يقول وهو يستعد للقفز الى الرصيف: اسمى رينير ••• شارلز رينير ••

***

وقبل ان يحين موعد الحفلة كنت قد جمعت عن مستر رينير كثيرا من المعلومات مستعينا بالدليل العام وببعض الاصدقاء الصحفيين • وغاية القول عنه أنه ينحدر من عائلة ثرية تعد من أقطاب الصناعة وهو شخصيا واسع الثروة ويحتفظ بمقعد شبه دائم فى مجلس العموم اذ يرشح دائما فى دائرة ذات

أغلبية مطلقة من المحافظين • ورغم انه يكاد يكون مجهولا لرجل الشارع فانه معروف فى دوائر الصناعة والمال

وكان الرجل عند وعده فما أن انتهت الحفلة حتى أقبل نحوى وقال :

ـ ألا تزال دعوتك لشرب القهوة قائمة ؟

ـ بكل تأكيد •••

وانصرفنا الى حجرتى ومعنا الزملاء حيث تناول كل منا أكثر من قدح من القهوة وكلما تقدمت ساعة الليل استأذن البعض منصرفين حتى بقيت معه منفردين وأخذ يحدثنى عن الايام السعيدة التى أمضاها فى كمبردج وقت أن كان ملتحقا بالجامعة ولم يقطع دراسته سوى اعلان الحرب وانخراطه فى الجندية •

وأردت أن أصل سلسلة المعلومات آلتى أدلى الى بهاعن نفسه ونحن فى القطار فسألته :

ـ لم تخبرنى ماذا حدث بعد أن أصابتك شظية القنبلة•••؟

ـ غبت عن الصواب ولست أدرى أين أو متى رددت الى نفسى ولا أية تفاصيل أخرى • الا أن هنالك بعض قرائن تشير الى أننى وقعت أسيرا بعض الوقت •

ومنذ اللحظة التى أصبت فيها لا تحوى ذاكرتى سوى صحائف بيضاء تماما ، وهكذا لبضع سنوات تالية حتى اللحظة التى استيقظت فيها لارى نفسى ممددا فوق أحد المقاعد الخشبية فى حديقة عامة فى مدينة ليفربول •••

ـ بضع سنوات •• ؟

ـ أجل •• ثلاث سنوات على الاقل •• وهذا ما تبينته فيما بعد ••• لعلك لا ترى قصتى مملة ؟

ـ بل أود من صميمى أن أستمع لتفاصيلها دون أن

تسقط منها اى مرحلة ...

ـ بل هنالك مرحلة محذوفة .. وهذا هو سر المأساة

ـ وماذا كنت تفعل فى ليفربول ؟

ـ ليست لدى أى فكرة ! بل انني ما عرفت أنها ليفربول عندما استيقظت لاول وهلة . والمهم هو أن أعرف « من كنت؟» خلال هذه السنوات ، وبعد ذلك يسهل معرفة أين وكيف كنت أعيش

ـ أتعني أنك خلال هذه السنوات التى فقدت فيهـــا ذاكرتك كنت تعيش تحت اسم آخر ؟

ـ ربما ، بل هذا هو الارجح .. لست أذكر شـــيئا البتة ... انني أشبه ذاكرتي ببيت ذى حجرات متعددة ، اذا سطع النور فى احداها انطفأ فى الاخرى . وهكذا كان . لقد امضيت هذه السنوات الثلاث فى عيشة أخرى ناسيا فيها اسمي وشخصي . وعندما رددت الى نفسى فى ليفربول نسيت ماحدث خلال هذه السنوات الثلاث بتاتا ... ونسيت من كنت ؟ وماذا كنت أفعل ؟ وكم بذلت من مجهود على تعاقب السنين كي أذكر هذه الفترة المفقودة أو بقول آخر كي أصل هذا الدهليز المظلم ببقية بناء حياتي ، فلم أوفق مطلقا

ـ وطبعا تذكر نفسك قبل اصابتك فى عام ١٩١٧

ـ أجل ... ان سلسلة حياتى الآن متصلة الحلقات تماما فيما عدا هذه الحلقة ، أى من اللحظة التى أصبت فيها حتى عدت الى نفسى فى الحديقة العامة فى ليفربول

ـ وكيف عرفت انك وقعت فى الاسر ؟

ـ عرفت ذلك بسببين : الاول أنه لو أنني بعد أن أصبت حملت الى خطوط البريطانيين لكان من السهل عليهم أن يتعرفوا على ، ولما بقيت هكذا مجهولا . أما وان الالمان هم الذين حملونى

وتولوا علاجى فقد انتقلت الى بيئة لاتعرف عنى شيئا ، اذ فقدت ذاكرتى ولم يكن معى ما يشير الى حقيقة شخصيتى ، ولست أدرى تحت أى اسم آخر أعدت الى انجلترا بعد ذلك بطريق التبادل · ولكنه ليس اسم رينير على كل حال · والسبب الثانى هو أن طبيب الاسنان الخاص فحص أسنانى ذات مرة ثم فاجأنى بقوله : « لقد كنت أسيرا فى المانيا · لقد عرفت ذلك من ضرسك المحشو · فهو ممتلىء بمادة صناعية مبتكرة كان يستعملها أطباء الاسنان الالمان فى أواخر أيام الحرب الماضية بدلا من الحشو المعتاد » ···

ـ لا بد أن عودتك كانت بمثابة هزة عنيفة لوالدك ··؟

ـ لاخوتى وليس لوالدى ·· لانه كان مريضا وقتئذ ولم أره ·· تلك قصة أخرى لاتقل غرابة واستمر بنا الحديث فترة طويلة حتى بدت تباشير الفجر فى الافق فنهض مستأذنا وهو يقول :

ـ يجب أن أستحم قبل أن أدرك القطار ، وحسبى ان سببت لك الارق هذه الليلة · وماذا تنوى أن تعمل بعد الحصول على درجتك الجامعية ؟

ـ الصحافة ·· أريد أن أشتغل بالصحافة ··

فقال وهو يصافحنى : لى بعض الاصدقاء من أصحاب الصحف ومديريها ولربما أمكننى أن أساعدك اذا اتصلت بى ولم تكن قد وفقت الى عمل



ومرت الايام سراعا وحصلت على درجتى الجامعية من كمبردج ، وبعد محاولات كثيرة فى ادارات الصحف والمجلات الكبرى منيت جميعها بالفشل ، لم أر بدا من أن ألجأ الى « شارلز رينير » ألتمس معونته · وما أن كتبت له حتى تلقيت

الرد بعد يومين يدعوني فيه لتناول الغداء فى منزله فى ضاحية كنمور المجاورة للندن ·

وظننت بادىء الامر انني المدعو الوحيد · وما أن وصلت الى القصر الفخم حتى تبينت أن خمسة عشر مدعواقد سبقونا اليه ، كلهم من مشاهير الكتاب والادباء ، كما تبينت أن مدام رينير تدعو عادة مثل هذا العدد مرتين أو ثلاثا فى كل أسبوع وان لم يكن للغداء فللعشاء ·

وزادت دهشتى عندما دعينا لحجرة المائدة ولم يحضر رينير نفسه ، وظل مقعده الرئيسى خاليا حتى شرع المدعوون ينصرفون · ولما هممت بالانصراف اســـــتوقفتنى زوجته واستوضحتنى اسمى ·

وعلمت منها أن زوجها لم يخبرها بدعوتى ، ولاول مرة فى حياتى شعرت بتطفلى على الغير ·

وتلقيت منه فى اليوم التالى كتابا يعتذر فيه عن عـدم امكانه الحضور بالامس ويدعونى لمقابلته فى مجلس العموم · وتلقانى هنالك بترحاب ثم سار بى الى احدى الشرفات المطلة على النهر حيث تناولنا الشاى سويا · وطرق الموضوع مباشرة فقال :

ـ لا تظن اننى أهملت موضوعك رغم مشاغلى العديدة· ولكن يؤسفنى اننى لم أوفق للآن للعثور على عمل صحفى لك وذلك بسبب اندماج عدة صحف أخيرا وتوفير عدد كبير من الصحفيين ·

فقلت له وقد تمكن اليأس من قلبى :

ـ لقد حاولت من جهتى ولاقيت نفس الفشل ··

ـ ما رأيك اذن فى أعمال السكرتارية بدلا من الصحافة··

وكانت مفاجأة لى · اذ لم أفكر قبل ذلك أن أشتغـل

كسكرتير • ولعله لاحظ ترددى فقال :

ـ يمكنك أن تفكر فى الموضوع على مهل ، كانت لى سكرتيرة فتاة ، ولكنها على وشك الزواج وستتركنى بعد أسابيع ، فان راق لك ان تقبل هذا المنصب فهنالك متسع من الوقت يمكنك ان تتدرب خلاله على كل شىء •



وهكذا أصبحت سكرتيرا لشارلز رينير وشرعت «الآنسة هوبس » تدريبى على العمل الذى توشك ان تعتزله • وبعد ان أمضيت فى صحبتها عدة أيام اتلقن نواحي العمل المختلفة شرعت تحدثنى عن مخدومنا بتوسع فقالت : ستسر جداللعمل معه ولن يشعرك بصلة الرئيس بالمرؤوس بل بمودة الصديق لصديقه • كنت أدعوه باسمه مجردا من أى لقب • ولاتعجب فقد أمضيت فى خدمته خمسة عشر عاما

وانتقلت بعد ذلك تتحدث عن شئونه العائلية الداخلية فقالت :

ـ ولست أظن مستر رينير سعيدا فى زواجه ، لان هذا الزواج لم ينته به الى حيث أراد من الهناءة والاستقرار • ويمكننى ان اذهب الى ابعد من ذلك فاقول ان مدام رينير نفسها ليست من الطراز الذى يلائم شارلز ويصلح له•واعتقد انه يضيق ـ ان لم يكن قد ضاق فعلا ـ بكل هذه الولائم والحفلات التى تقيمها وخاصة ما كان منها فى « ستورتون » ـ قصرهم الريفى الجميل ـ ولا تنس انهما لم ينجبا ذرية وهذا أمر له أهميته ، لان مستر رينير يتمنى ان تكون له ذرية واذا ماتقدمت بك الايام في العمل معه تلمست عدم استقراره جليا• وعندى ان زوجته هى المسئولة الوحيدة عن ذلك اذ بمقدورها

ان تهبه البيت الهادىء الذى يمكنه ان يلوذ به ويستقر فيه كلما أعيته الاعمال أو انهكته . لقد ذهبت الى قصر « كنمور » مرة على ما أذكر ، وأصبح وصف لى هو أنه فندق كبير ،وذلك لانه قلما يخلو من أضياف أو مدعوين . والمكان الوحيد الذى يشعر فيه شارلز رينير بالراحة والحجرة الوحيدة التى ينعــــم فيها بالاستقرار والطمأنينة هى هذه الحجرة .. حجـــرة المكتب .. وانا لا أقيلهمنالمسئولية بل انه يتحمل شطرهمنها لانه يمدها بكل ماتطلبه من مال حتى لقد حولت قصوره الى متاحف . ولست أنكر أن لها ذوقا سليما فى انتقاء الاشياء وتنسيقها .

وكان مستر رينير خلال ذلك يزور مقاطعة لانكشيرحيث تقوم بعض مصانعه ، وأبرق الى ينبئنى بعودته .. وعندما لاقيته فى محطة ايستون كما أمر ركبنا سيارة الاجرة وأمر السائق بالاسراع الى منزله . وما ان تحركت السيارة حتى بدأ يسألنى :

ـ لعلك لم تجد شيئا من الصعوبة فى اقتفاء آثـــار الآنسة هوبس ؟

ـ انى أؤمل ذلك على كل حال

ـ لقد امضت فى بيتنا زمنا طويلا رغـــــم بلاهتهـــا وتصرفاتها الشاذة . كانت تعمل فى قصر ستورتون فىأيام أبى ثم انتقلت لخدمة أخى شيتوند بعد وفاته ، وسرعانماضاق بها ذرعا وسعى للتخلص منها وطبعا لم يكن هنالك من هــو أكثر بلاهة منى ليقبلها فى خدمته . وجعلت منها سكرتيرة للاعمال والشئون الاجتماعية وما ذلك الا لان حياتى الاجتماعية فى ذلك الوقت كانت محدودة جدا ولا تقتضى وجود سكرتيرة خاصة . ولكن تطور الموقف بعد أن تزوجت وأصبح لهــذا

المنصب أهميته • اتعلم انني اكتشفت انها كانت تكتب بعض الخطابات المطولة الى اناس لم اسمع عنهم مطلقا وتوقـــع الخطابات باسمى بكل بساطة وجرأة •• ؟

وبهذه المناسبة هل اخبرتك انني غير سعيد في حياتي الزوجية ؟

ـ لقد أشارت على كل حال ••

ـ لاتصدقها • انني وزوجتى أعظم صديقين • ولعلهـا أشارت الى ان زواجنا كان للمنفعة ؟ لقد صدقت ان كانت قد قالت ذلك • فقد عاد على من زوجتى أعظم النفع حقا •فلها كل الفضل في ان جعلت منى رجل أعمال ناجحا يشار اليه بالبنان بعد أن كاد الاعياء والملل يغلبانني على أمرى • يمكن أن تتصور سببا للزواج أفضل من هذا ؟

ـ هنالك دائما سبب أسمى يضعه الجميع فى المقدمة ••

ولكنه بدل اتجاه الموضوع فجأة وسألني :

ـ هل هناك حفلة في المنزل الليلة ؟

ـ أجل ••

ـ ومن أى نوع انتقيتم مدعويكم ؟

ـ أغلب الظن انهم من ابطال الرياضة والتمثيل ••

ـ اذن فسأتعشى فى النادى

وأطل من نافذة السيارة وأمر السائق بأن يغير اتجاهه• وقبل ان نبلغ النادى قال لى :

ـ اتذكر البحيرة التى سألتك عنها يوم ان التقينا أول مرة في القطار ؟

ـ أجل ••

ـ لقد حدث شيء مماثل أثناء سفرى فى لانكشير •• فانني شاهدت منزلا اعاد الى ذاكرتي بعض الخيالات عن الماضي

السحيق ، ولكنها سرعان ما اختفت وتلاشت كما يحدث كل مرة ٠٠ أتذكر ماقلته لك ليلة ان قضينا السهرة فى حجرتك فى كمبردج من انه تعترضنى أحيانا بعض أشياء تكون أشبه شىء بآثار تنم عن الحلقة المفقودة من حياتى ٠٠

ـ أجل أذكر كل ذلك ٠٠ وما زلت أؤكدلك يامستر رينير ان الانهاك المتواصل فى العمل هو السبب الاول ٠

ـ يؤسفنى اننى ازعجك دائما بأحاديثى هذه حتى لقد ابدو لك كرجل ثرثار ٠٠

ـ كلا مطلقا ، بل اننى أجد أعظم التسلية والسرور فى معالجة هذه الحالة الطارئة ٠٠

***

ولم أكن حتى هذه اللحظة قد وجهت أى اهتمام للحالة التى يعانيها رينير ٠ وذلك لامرين :

الاول ، ان ضعف الذاكرة أو فقدانها هو أمــــر طبيعى يعانيه جميع الناس على حد سواء ، فليس بيننا الا من نسى شيئا أو أشياء لا يلبث أن يتذكرها اذا ما ذكر بها ٠ والامر الثانى هو أن الاشياء القليلة الاهمية تترك فى ذاكرتنا أثرا واهيا ولذلك نجد صعوبة فى تذكرها ، والعلة فى حالة رينير هو أنه يجهد نفسه فى محاولة تذكر أشياء قليلة الاهمية يخالها بالغة الاهمية ٠ فهذا الاسراف فى تقدير الاشياء هو الذى يسبب له النصب الفكرى الذى يلازمه

ولا شك أنه يمكن التحقق من بعض فقرات قصته ، بل لقد وجدت فى نفسى الميل للاقدام على هذا العمل من تلقاء نفسى فلعلى أوفق لالقاء النور على السنوات المظلمة من حياته وبذلك أريحه من عناء التفكير فيها ٠ ولاحت لى أول فرصة عندما قابلت الآنسة هوبس بعد ذلك وسألتها عن الايام

الاولى التى عاد فيها مستر رينير الى بيت أهله ، ولكن بارقة الامل لم تلبث أن خبت عندما أجابتنى قائلة :

ـ لست أذكر شيئا من التفاصيل لانه عندما عاد تولى « شتيلدون » الامر من أوله الى آخره وشيلدون هو كبيرالخدم فى قصر ستورتون وقد أمضى فى خدمة آل رينير جيلا كاملا حتى أصبح له نوع من الدالة عليهم • واذكر أنه قامت بعض المتاعب وقتئذ ولكن شيلدون ما كان ليخبرنا بشىء مطلقا محافظة على تقاليد الاسرة وأسرارها

وهكذا انتهى بى هذا الاثر دون أن أوفق لمعرفةشىء• وكان يزيد من صعوبة البحث أن مستر رينير الاب قد توفى ، ولحق به بعد قليل ابنه البكر شيتوند ، وما كان لديهما من معلومات خاصة قد أودع معهما القبر •

ـ يالها من مسألة غامضة ••• ألم يحاول مسترشارلز رينير نفسه أن يحل غوامضها ويميط عنها اللثام ؟

ـ أتعنى هل حاول أن يتذكر حوادث السنوات الثلاث التى انقطع فيها عن أسرته ؟

ـ بل أعنى أكثر من ذلك ••• ألم يستطع ان يستشير اخصائيا •• فى الامراض ••• النفسية مثلا ؟

ـ انك لم تعرف مستر رينير معرفة جيدة بعد • والالما طرحت هذا السؤال • ان آخر مايفعله فى هذا الوجود هوأن يذهب لانسان ويحدثه عن نفسه وعن نواحى النقص التى يعانيها والرجل الوحيد الذى أفضى اليه بشىء عن نفسه هو أستاذ يدعى فريمان عرفه فى كمبردج

ـ اتعنين الدكتور فريمان ؟

ـ لست أدرى ، ربما كان دكتورا •••

ـ طويل القامة ، أبيض الشعر ، مقوس الظهر •• ؟

ـ هو بعينه ... كان يكثر من زيارة شـــارلز قبل الزواج
ـ قبل الزواج ... ؟
ـ أجل لانه لا يحب الولائم والحفلات ، فلما تزوج رينير وكثرت هذه الولائم انقطع فريمان عن زيارته

ولم أضع وقتا فى الاسراع الى الدكتور فريمان الذى سر لملاقاة تلميذه القديم وبعد تناول التحية وجه الى السؤال الذى كنت أنتظره بفروغ صبر :

ـ وماذا تعمل الآن ؟
ـ أعمل سكرتيرا لشارلز رينير
ـ أوه ... اذن فالتاريخ لن يعيد نفسه
ـ ماذا تعنى ؟
ـ أعنى أنه قد تزوج واحدة منهن .. من السكرتيرات..؟
ـ أتعنى ان السيدة رينير كانت سكرتيرة له أيضا ؟
ـ أجل ...
ـ والآنسة هوبس .. ؟
ـ تلك المرأة البلهاء .. كانت معهم طوال الوقت .. انها من ضمن مخلفات الاسرة . ولكن أين ذهبت ؟
ـ ستتزوج ؟
ـ ياللسماء ... ما كنت أعتقد أن سيدركها الدور.. ولكن من هو الرجل السعيد ؟ أوه انه رينير نفسه بلا شك لانه سيتخلص منها .
ـ اذن أنت تعرفها ؟
ـ نعم..كم كانت تبعث الى بخطابات مملة مطولة وتمضيها باسم رينير دون علمه ..
ـ ولكن أليس من الغريب أنهـــا لم تخبرنى بتاتا أن

السيدة رينير كانت سكرتيرة مثلها لمستر شارلز ؟ أليس هذا تفانيا منها فى المحافظة على أسرار الاسرة ودخائلها ؟

ـ أبدا ٠٠ ما قصدت تلك المرأة شيئا من هذا ٠ لقد خفت عنك ذلك كى لا تعرف أن كلتا المرأتين كانت تشغل نفس المنصب ، وأن الاخرى هى التى فازت فى المعركة ٠٠

ثم أخذ يحدثنى كيف تقابل ورينير قائلا :

ـ ٠٠ انه رجل غريب حقا ، انه يخاف أن يعرفه الناس وكلما تأكد أنك لا تعرفه تمادى فى الحديث عن نفسه مطمئنا لقد قابلته مصادفة فى كمبردج وكنت أعرفه من قبل فأخذ يحدثنى عن حالته ظنا منه أنه لا يعرفنى ٠ كان ذلك وقت أن كان طالبا أى منذ عشر سنوات ٠٠

ـ وما رأيك فى حالته ٠٠ ؟

ـ وماذا تعرف عنها أنت ؟

فقلت له :

ـ انها من حالات فقدان الذاكرة ؟

ـ أراك ملما بشىء عن الموضوع ٠ ولكن ما سر اهتمامك به ، وهذا أمر لا يقع فى نطاق أعمال السكرتارية ؟

ـ حقا ، ولكنى أحب مستر رينير وقد عاهدت نفسى أن أبحث هذا الموضوع كى أريحه من عنائه

ـ سبب وجيه بلا شك ٠ ان تقديرى للحالة هو أن رينير يحتفظ فى ذاكرته ببعض الآثار عن المدة المفقودة من حياته ٠٠ ولكن هذه الآثار متناثرة وواهية ٠٠ واعتقد أن ذاكرته ستصفو يوما ما بغتة لسبب من الاسباب فيعود يذكر كل شىء

ـ ولكن ما سبب فقدان الذاكرة هذا ؟

ـ شظية القنبلة التى أصابت رأسه ٠٠ لقد سببت جرحا يحتاج لعدة عمليات متتابعة وبعناية تامة ، الشىء الذى

لا يمكن أن يتوافر فى المستشفيات العسكرية أثناء الحرب · وأعتقد انه عندما التقط أسيرا أخذ الالمان يعـالجونه دون ان يتعرفوا على اسمه أو ربما تحت اسم آخر خاطىء وعندمـا سلم بعد ذلك للانجليز كان فى نفس الحالة · ولا تنس أن المستشفيات الانجليزية كانت فى هذا الوقت مكتظة بالحالات العصبية المماثلة الناتجة عن انفجار القنابل · وعلى كل حال أرى أن السيدة رينير زوجته هى موضع الداء ··

ـ كيف ·· ؟

ـ انها نوع غير عادى من النساء يا هاريسون ·

ـ وهو بالمثل ليس من الرجال العاديين · وعلى كل حال فاننى أشاطرك الرأى فى انها لغز غامض · فأصدقاؤهـا يقولون انها هى السبب فى نجاحه وظهوره · أما أصدقاؤه فيقولون انها عقبة فى سبيل تقدمه ونجاحه ·

فقال الدكتور فريمان :

ـ اننى أعتقد يقينا لا يخالطه الشك انهـا تخفى فى نفسها شيئا ما ·· بمثل ما أعتقد من خادمهم المدعوشيلدون

ـ ربما قد أجمعا أمرهما على ان يخفيا هـذا الشىء سويا · هل ذهبت الى قصر ستورتون ؟ انه يصلح لاخفـاء أى شىء ·



وبعد أيام انتقلت ومستر رينير لقضاء عطلة الاسبوع فى قصر ستورتون الذى سمعت عنه كثيرا · وغاية القـول عن هذا القصر انه من القصور الاثرية القديمة أدخـل عليه من وسائل الراحة العصرية أقصى ما يمكن أن يشتريه المال

وهناك قابلت السيدة رينير ، أو هيلين كما يدعوهـا زوجها ، وكذا شيلدون الرهيب كبير الخدم الذى شـعرت

نحوه بميل شديد مقرون بتبجيل مذ وقعت عيناى عليه •

وبعد العشاء أمضيت سهرتي في حجـــرة المكتبة ثم انصرفت الى مخدعي في تمام الساعة الحادية عشرة • وما أن مررت من الباب وأنرت الحجرة حتى أبصرت مســـتر رينير ممددا في أحد المقاعد الوثيرة بالقرب من النافذة • وتطلع الى مبتسما وقال :

ــ لعلى لم أزعجك ، أو لعلك لم تظنني شـــبحا من الاشباح التي يقولون أنها تسكن القصور القديمة ، لقـــد أعجبني منظر القمر وضوءه فجئت أرقبه من نافذتك •

وجلسنا نتحدث بعـــض الوقت ثم هم بالانصراف • فقلت له :

ــ مستر رينير ؟ أريد أن أسألك شيئا • لقــد أخبرتني ذات مرة انك عندما رددت الى نفسك بعد الحرب ألفيت نفسك جالسا فوق مقعد في احدى حدائق ليفربول العامة ؟

ــ متى قلت ذلك ؟

ــ في حجرتي بكمبردج ••

ــ أوه •• أجل هذا ما حدث ، ولكن لا تسألني عن أى شيء آخر قبل هذه اللحظة •• أى قبل ظهورى فوق مقعـــد الحديقة ، ذلك لانني لا أستطيع أن أجيبك ؟

ــ لا أريد ان اسأل عن شيء قبل هذا •• بل بعده !

فقال وقد بدا عليه الارتياح التام :

ــ بعد ذلك ؟ انني على استعداد لاى ســـؤال ، لانني واثق من نفسي تماما منذ ظهر ٢٧ ديسمبر سنة ١٩١٩

ــ اذن أرجوك أن تبدأ قصتك من هنا

ــ انها ليست قصة ، انها تاريخ حياتي ؟

ــ وهذا ما أريد أن أعرفه •

فقال وهو يضحك : أى بقول آخر تريد أن تعرف كيف انتقلنا من مقعد فى حديقة عامة الى مقعد فى البرلمان ؟

ـ أجـــــل ، لا تنس أننى أرمى الى غرض آخر هو ان استعراض هذه الفترة من حياتك قد ساعدك على تذكر الحلقة المفقودة منها ..

فاطرق قليلا ثم قال :

ـ اذن فأنت تعتقد حقا أن ذاكرة الانسان كرجـــل رياضى تحتاج لتدريب دائم مستمر . لا بأس ، ربما كنت مصيبا فى رأيك ، متى نبدأ ؟

ـ الآن ، اذا لم تكن فى حاجة الى النوم ؟

وبدأ يتكلم .. ولما كانت القصة طويلة فاننى أوثر أن اسردها للقارىء على حدة وفى صيغة الغائب

الفصل الثانى

كان أول ما تنبه له عندما استيقظ من اغمـــائه ورد الى ما حوله أنه ممدد فوق أحد المقاعد الخشبية العريضـــة فى حديقة عامة وأن البلل قد أصاب جميع ثيابه ،وأبصر رجلا فى ثياب سائقى الســـــيارات ينحنى فوقه ويقول له فى فزع ووجل وهو يربت على خده بكفه الخشنة :

ـ الحمد لله ، لقد تنبهت أخيرا يا سيدى ... ثق أن السيارة لم تمسك ، ولكن قدمك زلت بسبب ميـــاه المطر والاوحال التى تغطى الطريق . أراك بخير يا سيدى ، ويبدو لى والحمد لله أن عظامك سليمة ..

وقبل أن يسمع منه الجواب اختفى الســـائق فجـأة وألفى رينير نفسه وحيدا فى المكان . وبدأ يسترد قواه شيئا فشيئا ويستعيد عبارات السائق ، وأمكنه بعد جهد أن يدرك

أنه كان يجتاز الطريق فدهمه هذا بسيارته ثم حمله الى هذا المقعد المنعزل فى الحديقة العامة ليعنى به ، وما أن اطمأن الى أنه قد تنبه الى نفسه حتى تركه وانصرف مسرعا قبل أن يستجمع هذا قواه ويمسك به ٠

ولكن أين هو الآن ٠ وماذا أتى به هنا ؟

انه لا يذكر شيئا من هذا كله ، واذا كان هذا هو شأن اليوم فما شأن الامس ؟

وبالمثل لا يذكر عنهشيئا ٠ ان مياه المطر هذهوالاوحال المتراكمة فى الطريق والتى تلوث ثيابه وآلام الرضوض التى أصابت جسمه ، كل ذلك يذكره بآخر منظر سجلته ذاكرته ٠٠ ساعة أن انفجرت القنبلة بجوار الحفرة وقد امتلات بالماء والوحل ٠٠ والآلام الشديدة شملت جسمه فجأة ٠

هذا هو آخر ما يذكره وهذا هو الامس الذى يعيه٠

وتطلع تحته فاذا بالسائق قد فرش على المقعد احدى الصحف اليومية وقد تهالكت تحته بعد أن تشرب مياه البلل من ثيابه ٠ ونزع قطعة منها ليحاول أن يتعرف بواسطتها على العالم الذى بعث فيه فجأة ٠ وكانأن وقع بصره على كلمة «رينير» فى حروف كبيرة ضمن اعلان أو رأس مقال٠٠ وللحال أبرقت فى ذهنه أول بارقة للمعرفة ٠٠

« رينير » ٠٠ « رينير » ٠٠ اسم معلوم لديه ٠ أجل ٠٠ انه هو « رينير » ٠٠ « شارلز رينير » وغادر الحديقة مترنحا ٠ وسار فى أول طريق عريض صادفه ، ومرت به بعد قليل سيارة أومنيبوس كتب عليها بالخط العريض « بلدية ليفربول » ٠

وأبصر على مقربة منه « كشك » بائع الصحف ، فخف

اليه وابتاع جريدة ليتطلع مسرعا الى تاريخها - ٢٧ ديسمبر ١٩١٩

وهكذا أدرك فى دقائق قليلة ثلاثة أشياء هامة :

- من هو ؟ وأين ؟ ومتى ؟

ووجد فى جيبه بضعة جنيهات لا يذكر مصدرها وبعد ساعتين كان يرتدى سترة جديدة ابتاعها ليستبدل بها ثيابه المبللة القذرة ، وكان جالسا فى ركن احدى عربات القطار السريع المتوجه الى لندن .

لقد وطد العزم على أن يذهب الى المنزل القديم حيث تقيم عائلته .

وما أن بلغ لندن حتى أقله قطار الضواحى . وبعد رحلة على الاقدام ، وقبل منتصف الليل كان يقرع جرس الباب الخارجى الكبير بقصر ستورتون ..

ولم يسمح له الحارس بالدخول وكان قد عين منذ شهور قليلة ، فطلب أن يقابل شيلدون كبير الخدم ، وأبى الحارس عليه هذا محتجا بأن مستر شيلدون لا يمكنه أن يغادر القصر فى مثل هذه الساعة من الليل ليأتى الى الباب الخارجى الذى يبعد عن القصر زهاء المائتى متر .

- ولكن الامر على جانب من الاهمية ..

وتريث الحارس قليلا ثم قال :

- هل أنت الدكتور ايستلى .. ؟

وانتهز شارلز الفرصة وقال :

- نعم .. أنا هو .. هيا وادع شيلدون

وسار به الحارس الى كوخه حيث توجد آلة تليفون فاتصل شارلز بالقصر بواسطة التليفون وطلب محادثة شيلدون وقال له :

ـ معذرة ياشيلدون .. لست الدكتور ايستلى .. بل أنا شارلز . رينير .. الا تذكرنى ياشيلدون .. ألا تذكـر الحجرة العليا ذات الباب الاعسر .. ســــتحضر حالا .. ؟ هما أنذا انتظرك . !

وأدرك الحارس أن هذا الزائرالغريب معروف لاصحاب القصر ، ولربما يمت لهم بصلة قرابة فقدم له مقعداً وجلس ينتظر وصول شيلدون من القصر ، ثم خطر لرينير أن يسأل الحارس .

ـ سألتنى ما اذا كنت أنا الدكتور ايستلى .. فهــل تنتظرونه ؟

ـ أجل يا سيدى

ـ وماذا جرى للدكتورساندرستيد .. طبيب العائلة ؟

ـ لا يزال موجودا الا أن حالة مستر رينير الكبير قــد تأخرت ولذا اقترح الطبيب ساندرستيد استدعاء الدكتــور يستلى الاخصائى فى أمراض القلب .

ـ ومنذ متى والسيد الكبير مريض ؟

ـ منذ ستة شهور وقد لازم فراشـــــه طوال الثلاثة الشهور الاخيرة

ـ وبقية العائلة ؟

ـ لقد استدعوا جميعا عندما ساءت حال السيد

وأقبل شيلدون فى هــــذه اللحظة وأخذ يتطلع الى شارلز فى تردد ثم صافحه فى شوق وهو يقول :

ـ معذرة يا سيدى اذا ترددت فى معرفتك .

لقد ذكرتك بعبارة كنت أكثر من استعمالهـــا فى صغرى وكذلك كنت أنت ولا يعرفها سوانا ، وهى اطلاق اسم الباب الاعسر على باب الحجرة العليا لانه يفتح الى اليســـار

دون بقية أبواب القصر ..

ـ وهذه العبارة هى التى أزالت الشبهـــة من نفسى يا سيدى .. هيا بنا الى القصر ..

وفيما كانا يخترقان الحديقة الكبيرة قال شارلز :

ـ ستكون دهشتهم جميعا عظيمة بلا شك .. !

ـ طبعا يا سيدى خاصة وقد انقطعت أخبارك عنـــا تماما خلال السنوات الثلاث المـــاضية أين كنت ياترى .. ياسيدى ؟

ـ لست أدرى يا شيلدون ؟

ـ ماذا تقول يا سيدى ؟

ـ أقول لست أدرى يا شيلدون ! لاننى .. أريد ان أقول .. فقدت ذاكرتى فى ميدان القتال فى أواخر عام ١٩١٧ ونسيت كل شىء عن اسمى وعائلتى وماضى ، وظللت كذلك أعيش فى عالم آخر خلال هذه السنوات الثلاث . ثم رددت الى نفسى فجأة أمس .. فى ليفربول ..

ـ ليفربول .. وماذا كنت تفعل هنالك يا سيدى ؟

ـ لست أدرى . لا تسألنى عن شىء قبل هذه اللحظة ، وكان ذلك على أثر صدمة من احدى السيارات وعندما تنبهت تذكرت اننى شارلز رينير ونسيت كل ماكان خلال هـــذه السنوات الثلاث الماضية .

ـ يالها من قصة يا سيدى ..

وكانا قد بلغا القصر فقال شتيلدون :

لاشك ان سيدى لم يتناول طعام العشاء ولربمـــا كان محتاجا لحمام بالمثل ، وريثما تتم كل ذلك سأعد لك مخدعا فى جناح بعيد لتنال قسطا من الراحة ..

ـ اتعنى انك تريد ان تؤجل المفـــاجأة للغد ؟ اننى

موافق كل الموافقة وسأتركك تدبر كل شيء فهكذا كنا نقول فى صغرنا اذا ما جدت مشكلة ٠٠ « دع كل شيء لشيلدون »

وامضى شارلز ليلته الاولى فى منزل أبيه مطمئن النفس قرير العين ٠ وبادر فى الصباح فارتدى الثياب الانيقة التى استعارها له شيلدون من خزانة أحد اخوته

وسأل شيلدون ما اذا كان قد أخبر اخوته بأمر عودته فأجابه بالايجاب وبانهم سروا جميعا وانهم فى انتظاره على مائدة الافطار ٠ أما مستر رينير الكبير فقد أرجأ نقل الخبر اليه حتى لا تناله صدمة قد تقضى عليه ، ثم أردف يقول انه رأى من الاصوب ان يخبر الدكتور ساندرستيد طبيب العائلة وكذا مستر تروسلوف محاميها ٠ وشكره شارلز على هذا الاهتمام وخاصة على الثياب التى كانت تلائمه ثم اتخذ طريقه الى حجرة الطعام حيث كانت مائدة الافطار ٠

وكان قد اكتمل عقد اخوته واخواته حول المائدة ٠ وخف « شيتوند » أخوه الاكبر لملاقاته وبعد أن تعانقا قال له:

ـ دعنى أقدمك لزوجتى ليديا ٠٠ وهذا ياليديا شقيقى شارلز

وأقبلت بعده شقيقته جوليا فقبلته وهى تقول :

ـ لقد أخبرنا شيلدون بجميع التفاصيل التى افضيت اليه بها ، وكم هى غريبة يا عزيزى !

ثم صافح شقيقه جورج وشقيقته الصغرى بريدجت ٠ وقدم له الاول زوجته فيرا وقدمت له بريدجت زوجها المدعو ويليم فونتول ٠

وظل شارلز طوال فترة الافطار يعانى ضيقا شديدا وعدم طمأنينة ، وقد تلمس نفس الحالة فى الحاضرين اذ كان القلق باديا فى نظراتهم ٠ ومن ثم أخذ يفكر ويعصر ذهنه ليعد

كلمة يلقيها عليهم يوضح لهم بها جانبا من الامور . وانتهز من انصراف الخادم فرصة سانحة فأخذ يقول لهم :

ـ اشعر بانني مدين لكم جميعا ببعض الايضاح و .. ولكن حضورى الى هذا البيت بالكيفية التى شاهدتموها لا يقل غموضا بالنسبة لكم ، وهكذا شأن فقدان الذاكرة .. فالانسان ينسى كل شيء تماما ، ولكن .. الشيء الوحيد الذى أريد أن أقوله لكم .. بل واؤكده لكم ، هو اننى مالك لجميع قواى العقلية ، وفى حالة عادية جدا كأى فرد عادى . لست مريضا ، ولذا لا تخافوا منى ولا تنفروا أو تفكروا فى معاملتى معاملة خاصة . دعوا كل شيء فى هذا البيت يسير سيره الطبيعى كما كان فلست بحاجة لان أكون سببا لمضاعفة ازعاجكم

ومدت بريدجت يدها تربت على كتفه وتقول له :

ـ كن مطمئنا يا عزيزى ..

وأردف أخوه الاكبر شيتوند يقول :

ان سرورنا جميعا بعودتك يفوق الوصف وان ماقد تراه من الفتور أو القلق انما سببه الازعاج الذى نالنا جميعا نتيجة لسوء حالة الوالد . ولولا ذلك لاحتفلنا بمقدمك احتفالا رائعا يعبر عن حقيقة شعورنا .

فقال شارلز مقاطعا وقد أقبل الخادم يحمل أقداح القهوة :

ـ وانى أعتبر ان هذا الاحتفال قد أقيم بالفعل ..

وشاعت على وجوه الجالسين ابتسامة الرضا وبدا الموقف كما لو كان أوشك أن يستقر ، وأعلن أحد الخدم وصول الدكتور ساندرستيد طبيب العائلة يصحبه اخصائى القلب ايستلى . وبعد ان أمضى بضع دقائق فى مصافحة شارلز وتهنئته على سلامة العودة طلب اليه أن يصحبه الى

الحديقة · ولما اختلى به قال له :
ـ لا تخش ان ارهقك بالاسئلة ، لقد اخبرنى شيلدون بكل ما عرفه منك ، وأرى انها حالة غريبة وخبرتى بمثل هذه الحالات محدودة جدا
ـ دعنا من حالتى مؤقتا وحدثنى عن حالة أبى ··
هذا ما دعوتك من أجله بالذات ، لا شك ان أول ما حفزك للحضور الى هنا هو رؤيته · وانى لجد شاكر لانك أرجأت مقابلته بناء على نصيحة شيلدون التى هى فى الحقيقة تعليماتى الملحة ·
ـ ألا تصارحنى بالحقيقة ؟
ـ هذا ما سأفعله ، ان رجلا فى مثل سن والدك وضعفه ومرضه لا يمكن ان نتوقع له شفاء تاما ، الا اننا يمكننا ان نؤمل فى بعض التقدم الذى قد يسمح باحتمال الصدمة التى تناله عندما يعلم انك لا تزال على قيد الحياة ·
ـ الا تختصر الطريق وتقول ان حالته الصحية لاتسمح باخباره فى الوقت الحاضر ، وانه من الضرورى ان انتظر بعض الوقت حتى ينال بعض الصحة ؟!
هو كذلك ··
ـ لا أريد أن أناقشك فى هذا واكتفى بأن اقول اننى سألبى طلبك وسنخفى عنه أمر عودتى كلية حتى تسمح لنا أنت بنفسك فى الوقت المناسب ··
ـ لا يمكننى أن أعبر عن مدى شكرى ··
ـ لا محل للشكر ، فاننى بقدر ما أسر لرؤيته والتماس حنوه عن قرب بقدر ما أود أن أحافظ فى الوقت نفسه على حياته ·
وعندما حان وقت الغداء وذهب شارلز الى حجرة المائدة

لقى مستر تروسلوف محامى العائلة والدكتور ساندرستيد فى غمرة من الجدل العنيف • وصافح الاول شارلز وهنأه باقتضاب ثم قال له على الفور :

- كنت أقول للدكتور ساندرستيد ان للمسألة ناحيتها القضائية كما أن لها ناحيتها الطبية • ولا شك اننا جميعا نود من صميمنا أن نوفر على والدك صدمة عنيفة قد تؤذيه ، ولكن أنى لنا ان نعرف ان المريض نفسه يقرنا على هذا التصرف ؟

فقال الطبيب مزمجرا : ان ما أريد آن أؤكده هو أن أى صدمة تناله وهو فى حالة الخطر ستقضى عليه لا محالة ••

واعترض المحامى قائلا :

- قد يكون هذا صحيحا ، ولكن يجب أن نفكر بالمثل فى مصير مستر شارلز

فصاح شارلز : أناشدكم السماء ، لا تشغلوا أنفسكم بأمرى ••

فقال تروسلوف : لا يمكن أن نتوقع منك خلاف هذا القول يا عزيزى مستر شارلز ، ولكنى كمحام يجب أن أوضح المركز توضيحا دقيقا • ان ما يهمنى فى هذا الموضوع ويقلقنى هو « الوصية » ويجب أن لاينسى أحدنا أن هذه الوصية تتناول ثروة لايستهان بها • والواجب بل والعدل يقضيان بأن تعرف ارادة والدك ورغبته فيما اذا علم انك لا تزال على قيد الحياة

فأجابه ساندرستيد :

- كما يجب أن نقدر حالته الصحية حق قدرها

- تماما •• وان حالته الصحية هذه هى التى تشغلنى وهى التى تستدعى اجراء عاجلا يكفل مساواة أولاده فى الميراث

فقال شارلز :

ـ ليس لى أقل ميل لمتابعة هذا الحديث أو الاهتمام بهذه الامور يا مستر تروسلوف ؟

ـ ولكن واجبى كمحامى العائلة يحتم على .. واجبى نحو أبيك ونحوك ونحو العائلة بأكملها .

فقال الطبيب مقاطعا : اذا كان ما ترمى اليه هو تغيير وصية مستر رينير فورا فهذا هو ما أعترض عليه بالذات يا عزيزى تروسلوف لان هذا العمل يسبب له اجهادا كبيرا لا يقل عن الصدمة نفسها .

فقال المحامى :

ومن أدراك ، فلربما سببت له صدمة الفرح نشاطا وتقدما فى صحته ؟

فضحك الطبيب وقال : شكرا لك على هذه النظرية الحديثة ، واذا خطر لك أن تستوضح اشكالا قانونيا فتعال الى أفتك فيه ..

وتداخل شارلز ثانية قائلا : لستأرى داعيا لاستمرار الجدل بينكما بعد أن أبديت لكما رأيى . لست أريد بتاتا ان يتعرضوالدى لاقل صدمة مهما تضاءلت نسبة الخطر فيها . ولست أبالى مطلقا اذا شملتنى وصيته أو لم تشملنى . أرجو ان تكونا قد اقتنعتما ؟

وبعد أن انتهى الغداء سار به أخوه شيتوند الى حجرة المكتبة وقال له :

ـ اننى أقدر موقف تروسلوف حق قدره يا أخى . لقد أعلنت وفاتك رسميا وأنت فى حكم غير الموجود قانونا وعندما حرر أبى وصيته منذ شهور ذكر أسماء أولادهوبناته الذين سيؤول اليهم الميراث ولم يذكراسمك بطبيعة الحال .

فلو حدثت الوفاة الآن ـ لا قدر الله ـ دون تعديل الوصية فستحرم من كل شيء ، وهذا اجحاف كبير بك يا أخى خاصة وان ثروة أبى ليست قليلة ٠٠ وهى تكفينا جميعا وتفيض على حاجتنا ٠٠ لذلك ترانى أميل الى تأييد رأى تروسلوف ولن نعدم وسيلة ينقل اليه الخبر بواسطتها ٠٠ لتعهد بذلك الى شيلدون وهو يدبر الامر

ـ ما زلت أقول يا عزيزى شيتوند ان المسألة قد تكون لها عاقبتها الوخيمة بالنسبة لصحة الوالد ٠٠ أن أسوأ الفروض أن يتوفى قبل ان يعلم بوجودى ويعدل وصيته ،فى هذه الحالة يكفينى نصيبى من ارث والدتى

فصاح به شعيتوند :

ـ يا للسماء ! وهل يمكنك أن تعيش بمثل هذا الدخل الضئيل ٠٠ خمسماية جنيه سنويا ؟

ـ لا أعلم ٠٠ ولكنى أرى كثيرين يعيشون بأقل منه !

وأمضى شارلز بضعة أيام أخرى كانت أنظار الريب والشك لا تنصرف عنه خلالها وخاصة من ليديا زوجة أخيه الاكبر التى كانت ترى فيه شريكا ظهر فى غير أوان ٠

وزاد من ضيقه أن الدكتور ساندرستيد والمحامى تروسلوف ظلا يواصلان شجارهما وجدلهما ٠ وأخيرا قر رأيه على مغادرة القصر ليقضى الوقت فى مدينة (بريتون) ترويحا عن نفسه من جهة ، ولتزول آثار الصدمة التى أحدثها من جهة أخرى ٠

وظل يكاتب شيلدون خلال غيابه وهذا يوافيه بأنباء القصر أولا بأول ٠ وعلم منه أن أغلب اخوته بدا الملل ينتابهم واخذوا يتساءلون لماذا استدعوا على وجه السرعة طالما أن صحة أبيهم لا تبشر بخطر عاجل ، كما علم منه أن الجدال بين

الطبيب والمحامي لا يزال مستعرا .

وذات صباح - بعد أيام قلائل - وبينما كان يعيدتلاوة آخر خطاب تلقاه من شيلدون اذا ببرقية منه أيضـــا ينعى اليه فيها أباه ..

وأسرع شارلز عائدا الى القصر .. ووصل في اليوم نفسه شقيقه « جوليان » وشقيقته الكبرى « جيل » تصحبها فتاة في الرابعة عشرة من عمرها تدعى « كيتي » هي ابنـة زوجها الراحل من زوجتــه الاولى . وكان القصر أشـــبه شيء بنزل يموج بالنزلاء في موسم الســياحة . وكم كان سروره عندما علم ان شيلدون قد أعد له حجرته العلياالقديمة بعيدا عن هذه الضوضاء .

ومرت مراسم الجنازة والدفن في سلام ، وأودع مستر رينير مقره الاخير وانصرف المشيعون ، وعـــاد الاخوة الى قصرهم وكل منهم ينتظر بفارغ الصبر اللحظة الرهيبةالتي تقرأ فيها الوصية .

ودعاهم المحامي ترستلوف الى حجرة المكتبة فجلسـوا بترتيب أعمارهم : جيل ثم شيتوند ثم جورج ، والى جـانبه جوليا وشارلز ثم جوليان وبريدجت ، وفض تروســلوف الوصية في حضورهم ، وبعد دقائق قليلة كانوا قد اطمأنوا الى أن ثروة أبيهم بعد استيفاء ضريبة التركات وما اليهـــا تبلغ مليون وثمانماية ألف من الجنيهات وانها ســـتقسم بالتساوى بين بنيه الستة ، وقد اختص شـــيتوند أكبر الذكور بقصر ستورتون وببعض المزايا الاخرى ، كما حـدد مبالغ مختلفة للخدم ولبعض الاعمال الخيرية ، أما شارلز فلم يرد له ذكر في الوصية من ألفها الى يائها

وطوى تروستلوف الاوراق وأودعها جيبه ، بينما بدا

الارتياح على وجوه الحاضرين وقد اطمأن كل الى مستقبله ودخل فى هذه اللحظة شيلدون ، فقال له شيتوند فى لهجة يغشى حواشيها شيء من الوقار المتكلف : لقــــد ترك لك ألفا من الجنيهات

ـ هذا كرم عظيم منه ٠٠

ـ ولو سمعت نصيحتى لأبقيتهـــا كحصة فى شركة رينير حتى تربى وتتضاعف ويعود عليك منها ربح جزيل ، على كل حال سنبحث هذه المسألة فيمـــا بعد ٠٠٠ وأظنك لا تمانع فى البقاء فى خدمتى وقد انتقل الى قصر ستورتون

ـ سيكون هذا من دواعى سرورى يا سيدى ٠

ـ بارك الله فيك ٠٠ لن تأسف على هذا مطلقا

ثم التفت الى تروسلوف وقال له :

ـ والآن قبل أن نفض اجتماعنا أظنك تريد أن تقول شيئا آخر ٠٠

فنهض المحامى ثانية وبدأ يتكلم قائلا :

ـ لعله يكون من غير اللياقة أن أطرق هذا الموضـــوع الآن والحزن لا يزال مخيما على القلوب بسبب حرماننا من الفقيد الراحل ، ولكنى أرى أن هذه اللحظة هى الفرصـــة الوحيدة التى يمكن أن يطرح فيها الموضوع للبحث ، خاصة وانكم جميعا تعرفون سلفا وجهة نظرى فى هذا الشـــأن والخلاف الذى قام بينى وبين الدكتور ساندرستيد من أجله لقد حلنا بين أخيكم مستر شارلز وبين أبيه الراحل وأرجأنا مقابلته له ، بل ومنعنا خبر قدومه من أن يتسرب الى أبيـــه وكلنا يعلم يقينا لا يخالطه الشك أنه لو علم مستر رينير بأن ابنه شارلز لا يزال على قيد الحياة ـ فضلا عن قدومه ـ لبادر بتغيير وصيته فورا وأدرج اسمه بين أسمائكم ، اذ لا يوجد

بتاتا ـ على حد علمنا جميعا ـ بين الأب وابنه ما كان يدعو الى حرمانه من الارث ٠

واستطرد تروسلوف يناشد أفراد الأسرة أن ينصفوا شقيقهم ويردوا اليه حقه فورا ٠ وكان شيتوند أكثر الحاضرين تأييدا ، كان يؤمن على كل عبارة يقولها المحامى ولكنه كان يحول عينيه دائما عن المكان الذى جلست فيه زوجته ليديا وكانت هذه تتميز غضبا وقتئذ وأخذ تروسلوف ينقل عينيه بين الموجودين يلتقط منهم عبارات الموافقة فى شكل ابتسامة فاترة ، أو ايماءة من الرأس أو أى حركة أخرى يشم منها الموافقة على التنازل عن أربعين الفا من الجنيهات كاملة ٠

وفجأة قفز شارلز واقفا وقال :

ـ لست أدرى كيف أشكرك يامستر تروسلوف على مجهودك هذا ولا كيف أشكر أخوتى واخواتى على كرمهم العظيم على انه يؤسفنى أن أصارحكم بأننى ارجو اعفائى من قبول هذه المنحة ٠٠

وتصاعدت من الموجودين عبارات الدهشة تغشى حواشيها تنهدات الاطمئنان وشهقات الفرح ٠

بينما استأنف شارلز يقول : وفى الحقيقة لست أرى فائدة تذكر من حصولى على هذا المبلغ الكبير ٠ وهذا الرفض ليس معناه أننى لست مدينا لكم جميعا بالشكر ٠

كان صادقا فى رفضه مخلصا فى ابائه ، ولكن هذا الاعراض من جانبه قوبل بسيل من الاحتجاج من البعض وخاصة تروسلوف وشيتوند ، ولم يدر شارلز هل كان الباقون مخلصين فى احتجاجهم بمثل ما كان مخلصا فى رفضه أم هكذا يظاهرونه رياءا وخداعا ، وسادت مناقشة طويلة علت

فيها الاصوات وكثر فيهـــا الجدل حتى ضاقت نفس شارلز بالموقف ، فوقف ثانية وقال :

ـ ازاء هذا التصميم من الاشقاء لا يسعنى سوى القبول مع تكرار شكرى ٠

وعلا صوت شيتوند مستحسنا بينما انهارت آمال الباقين فى أن يسترد كل منهم الاربعين الفا التى انتزعت منه انتزاعا ولم يدع شيتوند الفرصة الســـانحة تفلت منه ، فخف الى حقيبة أوراقه وأخرج منها بعض أوراق مكتوبة كان قد أعدها، وقدمها الى الموجودين فأخذوا يوقعونها بأيد مترددة مرتعشة

ومضت الليلة فى سكون وفى الصباح أخذوا فى التفرق بمثل ما اجتمعوا ، وعاد شارلز مع تروسلوف فى سيارته الى لندن ، ولما ابتعدت السيارة عن القصر قال له :

ـ أرجوك يامستر تروسلوف٠٠٠اذا خطر لاحد أشقائى أو احدى شقيقاتى أن ترجع عن موافقتها فلا تتردد فى اقالتها واعفائها ٠٠٠

ـ كيف هذا يامستر شارلز ٠٠٠؟

ـ من يدرى ؟ ربما تورط أحدهم فى هذه الموافقة بينما لا تسمح ظروفه بها ٠

ـ عجبا لك يامستر شارلز ، لقد أوشـــكت أن تفقدنى صوابى عندما وقفت تعلن نزولك عن هـــذا المبلغ ٠٠ أيتخلى الانسان عن ربع مليون من الجنيهات بمثل هذه السهولة ؟

ـ وهذا هو مايحيرنى ؟ ماذا أفعل بهذا المبلغ ؟

ـ أمر بسيط للغاية ٠٠٠ أتركه كما هو فى شكل أسهم فى شركة رينير ؟ ويمكن أن تعيش من ريعها الضخم ٠٠٠

هذا مالا أريده ! أريد تبسيط علاقتى ببقية الاسرة الى أقل حد ممكن ألا تنصح باستبدال أسهم شركة رينير بسندات

حكومية ٠٠ ؟

ـ ومن الذى لا ينصح بالسندات الحكومية وهى أعظم ضمانا ٠٠٠ ولكنها أقل فائدة ؟

ـ لست أبالى ، فلن ، أنفق سوى جزء يسير من هذا الدخل على كل حال ٠٠

ـ لايمكنني أن أرفض تعليماتك مادمت تصر ، على أنه يجب أن نتريث فى عرض الاسهم ، لان بيعها جملة واحدة يؤثر فى السوق وقد يضر الباقين ، ومن الافضل أن نتخلص منها تدريجيا ٠

ـ تصرف كما تشاء واكتب لى عندما تتم العملية ٠٠٠

ـ وهل ستغادر لندن ؟

ـ أجل سأغادرها الى كمبردج لاستأنف دراستى التى قطعتها الحرب ٠٠٠



وأمضى شارلز أسابيعه الاولى فى هدوء وسكون ، قبل أن ينقضى شهر واحد كان تروسلوف قد باع جميع أسهمه فى شركة رينير وابتاع بدلها سندات حكومية ، وقال له المحامى فى آخر خطاب بعث به اليه فى هذا الصدد :

« لقد نفذت تعليمـــاتك وانقطعت صلتك بشركة رينير ورغم أننى وفقتلبيع أسهمك بسعرمشرف هو ثلاثةجنيهات ونصف للسهم الواحد الا اننى مازلت انعى عليك هذا الرأى المنكر الذى لا يوصف الا بأنه جهل مطبق ٠ وعزائى الوحيد هو أن الذى اشترى الاسهم جميعا اخوك شيتوند » ٠

وظل شيلدون على اخلاصه لسيده الصغـير فكان يكتب اليه بين الفينة والفينة عن الحـالة فى قصر ستورتون ٠ وقد شم شارلز من خطاباته الاخيرة ان أخاه لم يكن موفقا كسيد

لهذا القصر المنيف ، وان زوجته ليديا لا تقل عنه تقصيرا ان لم تكن هى الباعث على هذا التقصير ٠

وتتابعت شهور الدراسة وأقبلت العطلة الصيفية ، فامضى رينير أيامها فى فرنسا مروحا عن نفسه ، وعندما عاد الى انجلترا كان أول مالفت نظره فى صحف لندن هو انباء الرخاء الذى يعم البلاد والرواج الذى أصاب كثيرا من نواحى الصناعة ٠

وعندما استعرض أسعار الاسهم والسندات فى المكان المخصص لها من الصحيفة قفز قلبه فرحا اذ وجد ان أسهم شركة رينير قد بلغت الخمسة جنيهات ٠ وبادر فبعث من فوره برسالتين الى شقيقه شيتوند والمحامى تروسلوف يهنئهما بهذا النجاح ٠

ولم يحدث خلال عامه الثانى فى كمبردج من الحوادث مايستحق الذكر والتسجيل سوى تلك الزيارة التى فاجأته بها « كيتى » ابنة زوج شقيقته جيل ٠ وذهل شارلز عندما علم انها هجرت الكلية لتمضى نهاية الاسبوع معه فى كمبردج ولكنه آنس فيها من الميل نحوه مالفت نظره اليها ٠ فقد كانت على جانب كبير من الجمال ودعاها بعد ظهر اليوم الى نزهة خلوية فى ضواحى كمبردج حيث أخذت تحدثه عن نفسها وعن شقيقته جيل التى كانت تدعوها «عمتها» ، وكيف انها بدأت تقتصد فى مصروفاتها حتى انه ليخشى ان لا تذهب كيتى الى الكلية فى العام المقبل ٠ وسألها شارلز دهشا عن سر هذا الاقتصاد الذى هبط على شقيقته جيل فجأة ٠ وأجابته كيتى :

ـ ذلك بسبب هبوط اسهم شركة رينير ٠٠ ألا تعلم ذلك ٠٠ ؟

ـ كلا يا عزيزتى ٠

ـ كيف ذلك وأنت تدرس الشئون المالية والاقتصادية ؟
ـ أدرسهـا فى بطون الكتب فقط وكنظريات مدونة وليس كعمليات أو صفقات ٠

ـ لقد هبطت أسهم رينير حتى بلغت السبعة والعشرين شلنا فقط ٠ كنت أسمع « عمى » شيتوند يباهى دائما بمتانة أسهم الشركة ممـا حفزنى وبعض صديقاتى فى الكلية ان نقتصد من مصروفنا الشخصى ونبتاع بعض هـذه الاسهم ، وها أنت ترى ان ثروتنا الصغيرة بدأت تتلاشى ٠

وودع شارلز كيتى فى المساء وعاد الى مسكنه وهو يفكر فى الانباء السيئة التى نقلتها اليه الفتاة ٠ وذكر فى الوقت نفسه انه تلقى من أخيه منذ أسبوعين رسالة يسأله رأيه فى أن يعرض قصر ستورتون للبيع نظرا لـكبر حجمه وصعوبة السكنى فيه فى هـذا العصر الحديث الذى يستلزم البساطة والاقتصاد وحاول شارلز أن يجمع بين هذه الملابسات ليستنبط منها نتيجة ، ولكنه لم يتمكن ، فاكتفى بمـا كان يلاحظه فى الصحف باستمرار من هبوط أسعار أسهم الشركة ٠

ووافاه بريد الاسبوع التالى بمزيد من الانباء ، اذ تلقى من شيتوند خطابا عاجلا يسأله فيه عما اذا كان يمكنه أن يعقد له قرضا ٠ ولكنه لم يذكر شيئا من التفاصيل ولا ما اذا كان القرض المطلوب كبيرا أم صغيرا ، بل ترك أمر تحديده لشارلز نفسه « بما يناسب وسائله ومقدوره ، خاصة وان هذا القرض سيكون لفترة قصيرة معينة ٠٠ »

ودهش شارلز وكان أول ما استقر عليه رأيه أن أخاه لم يقصد من القرض مبلغا صغيرا يعد بالمئات ، بل انه يسعى وراء ألوف مؤلفة ، وفى هذه الحالة يحق لشارلز أن يستفسر عن التفاصيل ، وهكذا فعل ٠

وجاءه الرد برجوع البريد أكثر صراحة وايضاحا وأشد رجاء والحافا . وتضمنت سطوره الاخيرة اعترافا من أخيه بأنه كان يضارب فى سوق الاوراق المالية بأسهم الشركة وانه جنى بادىء الامر أرباحا لم يتسلمها نقدا بطبيعة الحال بل جعلها عربونا لصفقات أكبر وأعظم . ثم نفذ القدر اذ سبب كساد التجارة والصناعة هبوطا فى أسعار الاسهم وأخذت البنوك تطالب شيتوند بفرق أثمان الاسهم التى ابتاعها . وعندما تردد أخذت تلحف فى الطلب . وأوضح انه لو أسعفه شارلز بعشرة آلاف جنيه ، أو ما الى ذلك ـ على أن يتقاضى عنها فائدة ـ أمكنه أن يسوى مركزه ويسترد الثقة به . كما أوضح انه لو ترك لنفسه لما فكر فى أن يسأل أخاه هذا القرض ولكن المسئوليات العظيمة الملقاة على عاتقه هى التى دفعته لهذا المركب الخشن فغير خاف أن حصة أشقائه فى الاسهم هى موردهم الوحيد الذى يعولون عليه فى معاشهم .

جاءه الخطاب يوم الجمعة فكتب الرد فى المساء نفسه وأودعه تحويلا بمبلغ كبير هو ما تجمع فى يده وقتئذ من النقود الحاضرة ووعد بأن يتبعه بتحويل آخر بعد بضعة أيام .

ولكن شئون رينير المالية كانت قد بلغت من السوء درجة لا تحتمل معها الارجاء بضعة الايام ، فكانت أخبار الكارثة تحتل الصدر من صحيفة الشئون المالية فى صحف الصباح وعندما انصرف شارلز يبحث عن ثمن الاسهم تبين انه هبط ساعة اقفال السوق حتى بلغ ثلاثة شلنات فقط .

وأسرع شارلز فحزم أمتعته وأبرق الى أخيه أن ينتظره وعندما بلغ القصر سار به شيلدون الى حجرة المكتبة حيث كان جميع أشقائه مجتمعين يتباحثون فى الطامة التى لحقت بهم . وكانوا فى شغل عنه حتى أن أحدا منهم لم يرد عليه التحية

فوقف بباب الحجرة يشاهد المعركة المستعمرة .
وسمع أخاه شيتوند يقول :
ـ اسمعوا .. لن أحتمل المسئولية بمفردى .. أين كنتم عندما كانت اسهم الشركة فى ارتفـــاع مطرد ؟ هل أعجبتكم ادارتى الحازمة وقتئذ ؟ أما الآن فجئتم تنتقدونهـــا وتنعونها ؟
وصاحت به جيل كبراهم سنا : أجل .. ما كنا نظن انك تضارب بها سرا وخفية .
ـ أنت آخر من يتكلم فى هذا .. فلست تعرفين شيئا من أمور الدنيا أكثر من قبض أرباح أسهمك لتنفقيها على ملاذك فى الريفييرا ...
ـ كيف تجرؤ على هذا الكلام ؟؟
ـ انني أعلم الناس بسلوكك ومعايبك ..
فصاحت تعترض وتحتج ..
وقال جورج :
ـ خير لنا جميعا أن لانحيد عن الموضوع وهو أموالنا ولا شأن لنا بسلوك جيل .
واستأنف شيتوند يقول : ألا ترون حالى .. ان هذه الكارثة قد عجلت بى عشرة أعوام الى الامام ... ناهيـــكم بالصدمة التى نزلت بزوجتى ليديا فألزمتها الفراش .
وتنبه جوليان فى تلك اللحظة الى وجود شارلز فصاح قائلا :
ـ ها قد أقبل الرجل الغامض . مرحى أيها الشقيق العزيز . كم كنت عاقلا عندما تخلصت من أسهم رينير بسعر ثلاثة جنيهات ونصف للسهم الواحد وابتعت بها سندات قرض الحكومة ... ! لعلك جئت الآن تسخر منا وتتهكم علينا ؟.

ـ انك مخطىء ياجوليان بل جئت لما هو أفضل من ذلك .

ثم التفت الى شيتوند وقال : كيف حالك يا أخي ؟
ونهض هذا فعانقه وهو يبكي وقال له :

ـ بارك الله فيك .. لقد تلقيت خطابك ياعزيزى وشكرا .. ولكنه للاسف وصل متأخرا .

ـ اني جد آسف لتأخيرى فقد فاتني القطار الاول .

فصاحت جيل متهكمة : وفاتتك أيضا نشرة الاخبار السيئة التي كان يذيعها شيتوند علينا الا يعيدها أحدكم على مسامعه .

فقالت جوليا ساخرة : سأسمعك اياها في اختصار .. لقد فقدنا كل شيء .. وشيتوند هو أقدر رجال المال في العالم أجمع .

وصاح جوليان : بل هنالك من هو أقدر منه .. شارلز نفسه .. الذى أصر على أن يبيعه حصته من الاسهم نقدا واضطره بذلك الى الاقتراض . فكانت بداية الكارثة ..

فالتفت اليه شارلز مسرعا وقال في غضب :

ـ ماذا تعني ؟

ـ أعني انك بعت حصتك من الاسهم له ؟

ـ لم أطلب اليه ان يشتريها ، بل هو الذى سعى اليها ؟

ـ ولكنه دفع لك الثمن نقدا ؟

ـ هذا أمر طبيعي .. كيف كنت تريده أن يدفع اذن ؟

ـ واني له بالمال اللازم ؟ أتظنه كان يحتفظ به في جيبه ؟ لقد اضطر ان يستدين فصاح شيتوند :

ـ أجل .. فعلت ذلك على الرغم مني كي احول دون انزال ستين الف سهم الى السوق دفعة واحدة فتقضى على بقية

اسهمنا بالهبوط .. ولربما زعزعت الثقة فى الشركة .
ولاول مرة تداخل المحامى تروسلوف فى الجدال فقال :
ـ لاشك ان هذا كان غرضك يامستر شيتوند ولكننى أرى ان مستر شارلز غير مسئول فى الوقت نفسه .
وقال شارلز :
ـ اننى ما كنت أقدر هذه العواقب بطبيعة الحال .
فصرخت جيل فى مرارة وحقد :
ـ ما أيسر الاعتذار الآن آنه لايكلفك شيئا بعد ان كلفنا ثرواتنا كاملة ، واذا أردت رأيى فهو هكذا .. ان المسئولية الادبية تقضى عليك باعادة هذا المال فورا .
فقال المحامى تروسلوف فى حدة :
ـ هذه ملاحظة خالية من أبسط قواعد المجاملة بل ومن العدل والانصاف ..
واستطردت جيل تصرخ قائلة :
ـ قلت مسئوليته « الاديبة » ولم أقل « القانونية » . أليست هذه هى نفس الاصطلاحات التى كنا نسمعها منك عندما توفى والدنا دون أن يترك له شيئا . ما الذى كان يرغمنا على أن نمد له يد المساعدة وقتئذ ؟ وبالمثل ما الذى يرغمه على أن يمد لنا يد المساعدة الآن ؟ لا شىء ! ولكن « الواجب » شىء آخر .
وساد الصمت فى الحجرة بعض الوقت حتى قطعه شارلز بقوله :
ـ مازلت فى حيرة من أمرى لا أدرك ما حدث تماما .. الا يمكننى ان اتحدث الى أحدكم على انفراد .. شيتوند ؟ أو أنت يا جوليان .. كلا .. ؟ اذن أنت ياترسلوف .!
وخرجا الى الحديقة ، وبعد أن ابتعد عن المنزل قال

شارلز :

- أريد التفاصيل ! أريد أن أعرف هل أفلست الشركة نهائيا ؟

فأجاب المحامى :

- من الصعب ان نجيب على هذا السؤال · فان كثيرا من الشركات مدينة بما يوازى رأس مالهـا وهى مع ذلك تعمل ولايقولون عنهامفلسة · أما لو هب دائنوها مرةواحدة يطالبون بسداد الدين لا نكشف الموقف وأعلن افلاسها · وهكذا شركة رينير فان مصانعها تعمل وتربح أرباحا جيدة ، ولكن الشركة مدينة بالمبالغ التى تورط فيها شيتوند وهذا هو السبب فى انخفاض أسعار أسهمها ·

- وماذا يحدث لو طالب الدائنون بديونهم ؟

- يتحتم على الشركة ان تدفع والا يعلن افلاسها ·

- واذا دفعت ؟

- يلزمها رأس مال جديد تعمل به ·

- أتظن أن شيتوند كان يضارب بأموال الشركة ·

- أعتقد أن أخاك ابتاع كثيرا من الخامات التي تستهلكها مصانع الشركة وذلك ظنا منه أن أسعارها مناسبة ولكن لم تلبث ان انخفضت هذه الاسعار ثانية فكانت الخسـارة من جراء ذلك كبيرة · وهـذا خطأ يقع فيه الكثيرون من رجال الاعمال ·

- لقد ذكرت منذ برهة أنه فى حالة السداد تحتاج الشركة لرأس مال جديد فهل تظن أن ما عنـدى من المال - وأنت أعلم به - يكفى لسداد الديون واستئناف العمل ولو على أساس اقتصادى ؟

- لا يمكنى أن أعطيك جوابا حاسما على هذا السؤال ·

فالمسائل المالية معقدة دائما ، ولذا أوثر أن ترجع الى الخبراء المحاسبين فى هذا الشأن ٠

ـ شكرا لك ٠٠٠ هيا بنا نعود الى القصر ٠٠ تعال من الباب الجانبى لاننى أريد أن أتجنب شجارهم ٠

وغادر شارلز قصر ستورتون بعد ساعة دون أن يرى أحدا من أفراد الاسرة ثانية وترك لشقيقه شيتوند رسالة ليقول فيها انه سيتصل به خلال اليومين المقبلين ٠

وعاد أدراجه الى لندن وقد وطد العزم على أن ينقـــذ الشركة اذا استطاع ٠ ولم يكن البـــاعث على ذلك شعوره بالمسئولية الادبية التى حاولت شقيقته الكبرى أن تلقيهـا على عاتقه ، أو اشفاقه على العائلة ، لانه ـ فيما عدا شيتوند وبريدجت الصغرى ـ ما كان يشعر بأى ميل أو تقدير لاحد من اخوته بل ولا يرى أى ضير من أن يهبطوا من مستــوى الكسل والخمول والبذخ الذى انغمسوا فيه الى مستوى أفضل وأشرف يربح فيه كل منهم قوت يومه بكده وعرق جبينه ٠ وان كان يشعر بأسف أو اشفاق فانما على شيلدو وزملائه خدم القصر وغيرهم من ألوف العمـال الذين تضمهم معامل الشركة والذين يهددهم افلاسها بالبطالة والعطل ٠

انما كان الباعث الاكبر ، ان لم يكن الوحيـــد ، على اهتمامه بالموضوع ، هو وجود المال لديه ٠ مال كثير لا يدرى ما يصنع به ولا يستسيغ لنفسه بل ولا يمـكنه أن يرهق نفسه بانفاق جميع الدخل الذى يعود عليـه منه ٠ فتوظيف هذا المال بدلا من حبسه هو الباعث الاول على تداخله ٠

وأمضى شارلز أسبوعين كاملين فى فحص شـــئون الشركة فتبين الوانا من الاسراف وأنواعا من الاهمال لايمكن أن يستقيم معها حال ٠ وعندمـــا اجتمع بأخيه وبالمحامى

تروسلوف بعد ذلك جعل من تغيير ادارة الشركة شرطا أساسيا لاقراضها المال اللازم لسداد ديونها واستئناف أعمالها • وحاول شيتوند أن يتخلص من هذا الشرط وأخذ يراوغ ويداور ، ولكن شارلز صمم ولم يتزحزح ورأى الأول أن يلقى بآخر سهم فى جعبته فقال :

ـ ولماذا لا تقبل أنت ادارة الشركة • فالمال سيكون مالك وأنت أولى الناس بالسهر عليه بل هذا أكبر ضمان لك • وما علينا سوى أن يدعو تروسلوف مجلس الادارة لاجتماع عاجل استقيل فيه فتنتخب بدلا منى •

فهب شارلز واقفا وقال محتجا :

ـ ولكنى لا أريد ذلك وما سعيت له ، ألا تفهمنى ، كيف أترك دراستى فى كمبردج ؟

ـ لا بأس من أن تمضى بضعة شهور فى ادارة الشركة حتى تستقر الحالة وتضع أسس العمل فى المستقبل ثم تعود بعد ذلك لاستئناف دراستك •

وأيد تروسلوف هذا الرأى • وبعد الحاح من الاثنين قبل شارلز أن يقوم بهذه المهمة •

وبدأ شارلز عمله فى الشركة باجراء حركة تطهير واسعة النطاق ففصل عددا كبيرا من الموظفين الذين لم يقصد من استخدامهم سوى تفخيم مظهر الشركة • واتبع ذلك باقتصاد تام فى مختلف أبواب المصروفات • وفى نهاية العام لم يصرف أى ربح لحملة الاسهم • وعندما ضج اخوته بالشكوى بعث الى كل منهم بمبلغ زهيد من المال يكفيه للبقاء على قيد الحياة عاما آخر وزودهم بنصائح مطولة فى ضرورة الاقتصاد بل والتقتير بصفة مؤقتة حتى تحل هذه الازمة • وكان أكثر سخاء بالنسبة الى جيل اذ تبرع لها بمصروفات

كيتي المدرسية من جيبه الخاص ٠

وعندما وافى العام التالى كانت الشركة قد تخلصت من ديونها ٠ وبقى عليها أن تنهض من عثرتها ، وظل شارلز على تقتيره على اخوته الذين بدأوا يألفون هذا اللون من الحياة ٠ ونسى شارلز جامعته مؤقتاوانصرف بكليته الى هذا العمل وكل همه أن ينقذ ما بقى من اسم رينير ٠

وبعد ثلاثة أعوام بدأت الشركة تسترد مكانتها وأمكن صرف جانب من الارباح للمساهمين ٠ وعادت أسهم الشركة تتخذ مكانها المحترم فى سوق الاوراق الماليـة وارتفعت الى خمسة عشر شلنا للسهم الواحـــد وكانت تقفز فى بعض الاحيان لتبلغ الجنيه كاملا ٠

وأقبلت كيتى ذات يوم لزيارة شـــارلز فى مكتبه ، وقالت له وهى تداعبه :

ـ ألا تدعونى للغداء ياعمى الصغير ٠٠ ؟

ـ لست أرى مانعا من ذلك ٠٠

ـ والى أين تأخذنى ؟

ـ ليس فى الدعوة ما يحتـاج للاخذ لاننى أتنـاول غدائى هنا عادة ٠٠

ـ فى هذا المكتب ؟

ـ أجل ٠٠ ان كثرة أعمالى تقتضى ذلك ٠

ـ انك تفنى زهرة شبابك فى هذه الحجرة ٠٠ يا عمى ٠



وتتابعت الايام وشارلز ملتزم جانب الحـذر فى ادارة الشركة كالربان الماهر الذى يدير دفة السفينة بعناية وحزم ليصل بها الى شاطىء السـلامة ٠ واستطاع آخر الامر أن

يغادر انجلترا وهو مطمئن ، لقضـــاء بضعة أسابيع فى سويسرا ..

وفى خلال هـــذه الرحلة عاد ذات يوم الى فندقه فى مدينة انترلاكن ليجد برقية من كيتى تخبره فيها أنهـــا فى فرنسا وانها ستصل اليه فى الغـــد . ودهش بادىء الامر لانه كان يعلم أنها كانت تقضى الصيف فى فرنسا فى صحبة فنان شاب وانها توشك أن تقترن به . ورحب بها عندمـــا وصلت . وفى طريقها الى الفندق سألها عفوا :

ـ وأين خطيبك ؟

ـ تركته فى فرنسا .. لانه لم يعد خطيبى !

ـ هل تشاجرتما .. ؟

ـ كلا .. أتذكر تلك الليلة فى لندن التى قدمته اليك فيها وتكرمت فدعوتنا للعشاء ؟

ـ أجل أذكرها جيدا .

ـ لقد تبينت فى هذه الليلة أنه لم يعجبك ، ومن ثم بدأت عاطفتى نحوه تفتر شيئا فشيئا .

بل بالعكس .. لقد كانت تلك أولى مقابلاتنـــا وكانت الكلفة بطبيعة الحال لا تزال قائمة بيننا .. ولست أنكر أن قد أعجبنى ذكاؤه ..

ـ هذا هو رأس ماله ... وعلى الرغم من ذلك فان هذا الذكاء لم يسعفه فى سداد ديونه التى تتوالد وتتـكاثر فى كل مكان .

ـ هذا أمر يدعو الى الاسف .

وكأنما كان حضور كيتى بمثـــابة منبه أيقظ مشاعره وأخرجه من غمرة العمل المضنى التى أمضى فيهـــا سنواته الاخيرة ، وكان من الطبيعى وقد أكمـــل الثلاثين من عمره أن

تستلفت كيتي نظره وقد بلغت التاسعة عشرة واكتمل لها من المحاسن غير قليل ٠

وعندما اتخذ مكانا هادئا فى شرفة الفندق فى ذلك المساء عادا للحديث ثانية وحاول شارلز أن يعرف ما اذا كانت القطيعة والنفور اللذان دبا بينها وبين خطيبها نهائيا ٠ ولكنها أجابته فى صراحة :

ـ فى مقدورى أن أقترن به ، أو بغيره ، ولكنى لست أجد الطمأنينة فى زواج لا يحوز رضاك التام ٠٠ لقد أثرت فى حياتى حتى لقد أفسدت تقديرى لبقية الشبان ٠

وعلت وجه شارلز حمرة الخجل وقال لها متذمراً :

ـ اننى لم أتوقع هذا الرد ٠٠٠ الـ ٠٠

ـ الخليع ٠ اننى أصارحك دائما ، ولكنك لاتبادلنى هذه الصراحة ، كما لو كان هنالك عائق يحول دائما دون اقبالك على ويحجبك دائما فى عالم آخر غير عالمى هذا ، وليس أدل على صدق نظرى من تلك الرسائل التى كنت تبعث الى بهـا وأنا طالبة فى الكلية ٠ اننى الآن عندما أعيد تلاوتها ازداد شعورا بأنها لم تكن موجهة الى بالذات :

ـ عجبا لك لقد نسيت هذه الرسائل ، أمازلت تحتفظين بها ؟ ألا يمكننى أن أطلع ٠٠ ؟

ـ كلا ٠٠ مطلقا ، لن أطلعك على تلك الناحية من نفسك التى كشفت لى عنها عفوا ٠ ولو فعلت ذلك لارتكبت أمرا اداً ٠ وانى لاعلم لمـــاذا كنت أنت صريحا معى فى تلك الرسائل ٠ كنت تظننى صغيرة السن لا أقوى على فهمها فاسترسلت تكتب ما تشاء وتدون كل ما يمليه عليك وجدانك ٠٠ وجعلت منى عربة البريد أو صندوق البريد الذى يحمل الرســائل ٠٠ ولكن لعنوان آخر ٠٠

وسطع فى عينيه بريق خاطف · وسألها على الفور :
ـ ماذا تعنين ·· ؟ وعن أى شىء تتكلمين ؟
ـ ماذا كنت تتوقع من طالبة فى مثل عمرى تتلقى مثل هذه الرسائل ، كنت أطير فرحا بها دون أن أفهم لها معنى وما كنت أتوقع فى ذلك الوقت أن تقوم بيننا أية عاطفة · ربما خطر للشىء الآن بعدأن زدنا ارتباطا على ممرالسنوات لست أدرى ··

فقاطعها بقوله :
ـ بل تلك هى الحقيقية ··
ـ لعلك تقول ذلك على سبيل المجاملة أو الشفقة ··
ـ بل اننى اعبر عن الواقع ياكيتى ··



وكانت حفلة خطوبتهما التى أقيمت فى قصر ستورتون بعد ذلك بأسابيع ، بالغة منتهى البساطة وبدآ يعدان العدة للزفاف فى شهر يوليو من العام نفسه ·

وكانت وفاة شيتوند الفجائية سببا لتأجيل الزواج الى أكتوبر ·

وذهب بها ذات مساء ليتناولا العشاء فى أحد المطاعم الفخمة · وبعد أن تناولا مختلف الاحاديث سألته فجأة :
ـ ما رأيك فى الهبوط الجديد الذىطرأ علىأسهم رينير ؟
ـ هذا هبوط ضرورى لان الاسهم ارتفعت فى الشهور الاخيرة ارتفاعا لامبرر له بسبب المضاربات فى أمريكا ، ولا بد من توالى الهبوط ··
ـ وهل يؤثر هذا فى مركز الشركة ؟
ـ كلا مطلقا حتى ولو بلغ خمسة أمثال هبوط اليوم ، بل على النقيض من ذلك اننى متأكد من توالى الهبوط واذا

شرعت فى المضاربة وبعت أسهما على أساس توقع النزول لجنيت أرباحا طائلة ٠

ـ ولماذا لا تفعل ذلك ؟

ـ لانني لا أميل للمضاربة عادة ٠

ـ لماذا لا تحاول هذه المرة فقط مادمت واثقا من النتيجة ؟

ـ تريدين ذلك ٠٠ اذن سيكون أول شيء أفعله عندما أذهب الى مكتبى فى الصباح هو اعطـــاء التعليمات اللازمة لتنفيذ هذه العمليات ٠ والشيء الثـــانى هو تكليف الآنسة هانسلت بارسال بطاقات الدعوة لحفلة زفافنا ٠

ـ ومن هى الآنسة هانسلت هذه ؟

ـ سكرتيرتى الجديدة ٠ الفتاة الهادئة التى رأيتها فى المكتب ٠

ـ أجل ٠٠ أعرفها ٠٠

وبعد أن تريث قليلا سألته :

ـ ومتى يمكننا أن نسافر يا عزيزى ؟

ـ أتعنين بعد الزفاف؟ فى رحلة حول العالم كما وعدتك؟ بعد شهر واحد على الاكثر

وعلى الرغم من أنهما انصرفا مسرورين وتباشير السعادة تسطع فى أفقهمـــا الا أنه ما كاد يرافقها الى مسكنها ويعود الى منزله حتى انتابه ضيق شديد ولم يدر له سببا ٠

واستيقظ فى اليوم التالى ليجد رسالة من كيتى سطرت عبارتها بالقلم الرصاص وحملها الى منزله ٠ رسول خـــاص ، خلاصتها أنها رأت العدول عن الخطوبة وانها غادرت لندن الى فرنسا لتلحق بزوجة أبيها ، شقيقته جيل ٠

الفصل الثالث

وبدت تباشير الفجر فى الافق ، وكأنما رأيناها سر اذ سمعت رينير يقول لى :

ـ لقد أمضينا الليل بأكمله فى الحديث ، وأنى لاسألك للمرة الثانية ، ألا تريد أن تنام ٠٠ ؟

ـ كلا ٠٠ بل دعنا نكمل القصة ٠٠ كنت تحدثنى عن الخطاب الذى تركته لك كيتى ٠٠ قبل رحيلها ٠٠ ألم تذكر فيه سببا لذلك ٠٠ ؟

ـ بل أسبابا عدة ٠٠ انى أفضل أن نأوى الى مخادعنا لننام قليلا فتكون حالتنا المعنوية فى الصباح مقبولة الى حد ما قبل ان يقتحم الضيوف علينا المكان ٠٠

ـ ولماذا تدعوهم اذا كنت تضيق بهم ؟

ـ تلك قصة أخرى ٠٠ دعنا منها الآن ٠ لقد تعودت أن اشرب شيئا قبل ان أنام حتى ولو كان ذلك فى الفجر ٠ هل لك فى كأس ؟

وتسللنا فى الظلام الى حجرة المكتبة كيلا نحدث ضجة تزعج الهاجعين ٠ وهناك ملأ قدحين قدم لى أحدهما وهو يقول :

ـ سأريك هذا الخطاب يوما ما ٠٠ فما زلت أحتفظ به فى خزانتى ٠ لانه يكاد يكون آخر كتاب من كيتى الى ، فيما عدا بضع بطاقات كانت تبعث الى بها من البلاد التى تزورها٠ ولقد انتهت الى ماكانت تتوقعه ٠ اذ قابلت فى فرنسا سائحا ثريا فتزوجت منه وعادت معه الى بلادالملايو حيث يمتلك مزارع واسعة ٠ ولم تمتد حياتها الزوجية لاكثر من ستة شهور اذ أصيبت المسكينة بمرض الملاريا فقضى عليها ٠

ـ ثم ٠٠ ؟

فقال وهو يبتسم فى تهكم : والبقية الباقية من القصة عبارة عن سلسلة غير منقطعة من نجاح مطرد تزايد يوما بعد يوم • فالارباح تنهال من هنا وهناك وادارات الشركات تعرض على عرضا • ولقد اثقلت كاهلى بعبئين جديدين ، اذ اشتريت قصر ستورتون لاعيد سيرته الاولى ، كما قبلت المقعد النيابى الذى كان يحتفظ به أخى وأبى من قبل • وهكذا أمكننى ان اجتاز أزمات عام ١٩٣١ وكساد عام ١٩٣٢ فى سلام • وتزوجت من سيدة أصبحت لا استطيع الاستغناء عنها فى جهادى للمجد والثروة ٠٠ هى الآنسة هانسلت ٠٠ الفتاة الهادئة • وحتى هذا الزواج ، قد انقلب نجاحا تاما موفقا فلا يدرى أحد القوى الكامنة وراء أولئك الفتيات الهادئات • فها انت تراها قد انقلبت اكثر ربات البيوت حركة فى لندن ومنازلها لاتخلو من المدعوين والضيوف لحظة • ومن الغريب انك مع ذلك مازلت تراها هادئة ساكنة ٠٠

ـ انها تختلف فى ذلك تماما عن مس هوبس السكرتيرة الاخرى ، ولعل هدوءها هذا هو الذى أوحى اليك بتفضيلها واختيارها ؟

بل الاصح انها هى التى اختارت نفسها • لقد كانت فى بادىء الامر تعمل فى مركز الشركة ، وظلت كذلك حتى اقتحمت على مكتبى ذات مساء ـ وكنا قد تأخرنا لعمل طارىء ـ وعرضت على أن تعمل كسكرتيرة لى بالنسبة لاعتزام الفتاة الاخرى الرحيل ووعدت ان تكون عند حسن ظنى بها ، وازاء هذه الجرأة لم أجد أمامى سوى أحد أمرين : اما ان أمنحها المنصب الذى طلبته وأعطيها الفرصة لتظهر مواهبها لى واما ان افصلها من العمل فورا ٠٠

ـ ولكنك وفقت فى اختيارك ..

ـ أجل ، وسرعان ماأدركت ذلك . وأنى لمدين لها بكل شيء ، فلقد ظلت تعمل معى باخلاص وأمانة وتهيىء لى أسباب النجاح والتقدم حتى بلغت هذه المكانة . وكـــان الزواج ، فاصبحت اكثر اخلاصا واعظم تعلقا ، وانى لاحبها اكثر مما يحب معظم الرجال زوجاتهم وهى تدير قصرى ســـتورتون وكنمور وكأنهما ساعتان جديدتان لايعرف الخلل اليهمـــا سبيلا . لقد توافر لديها كل مايريده الزوج على شريطة .. ان يقنع الزوج بمثل ماأنا فيه ..

ـ وألست انت بقانع .. ؟

فأمسك بذراعى وسار بى الى الباب وهو يقول :

ـ لندخر شيئا من الحديث لليلة آخرى ، سأذهب لفراشى الآن لاننى جد متعب وفى حاجة ملحة للنوم . قل لشيلدون ان لايوقظنى قبل وصول الضيوف .

وأمضينا اليوم التالى فى استقبال الضيوف والترحيب بهم وفى المساء اقلتنى السيارة معه عائدين الى لندن . وظل ملتزما الصمت طوال الوقت ..

وبلغت السيارة لندن وأخذت تخترق شوارعها المبللة بماء المطر وفجأة التفت الى وقال :

ـ أريد أن أسمع موســـيقا .. لنسمع شـــيئا من الموسيقا .. فهى العلاج الوحيد لحالة التوتر والاعياء التى أشعر بها

وأسرعت الى صحف المساء أتصفحها على عجل باحثا عن مسرح أو ملهى يعرض برنامجا موسيقيا لهقيمته ، ووقع نظرى على عنوان صغير فى حفلة تقام لموسيقى يدعى « كازيمير نافودا » يوقع فيها الحانا لمشاهير الموسيقيين أمثال بتهوفن

وشوبان وبراهمز ٠

ولم يكن الاقبال على الحفلة كبيرا ، واتخذنا مكاننا فى الصفوف الامامية بجوار سيدة كان يبدو عليها أنها أجنبية ، ورفع الستار وأخذ الموسيقى الموهوب يوقع أنغامه على المعزف ولكنه لم يكن بالغا حدا كبيرا من الاتقان ٠

وحدث أن سقط برنامج الحفلة من يد السيدة الاجنبية التى تجلس بجوار رينير فاسرع والتقطه وقدمه لها فشكرته ، وكان ذلك بداية الحديث بينهما ، ولم تلبث ان سألته رأيه فى نافودا كموسيقى فقال لها :

ـ لو أنه يواظب على التدرب لأتى بنتائج أفضل ٠٠٠

ـ ياله من رأى صائب ! هذا هو نفس تقديرى ، ولكن هل أنت ناقد ؟

ـ أجل ٠٠ ناقد شخصى ٠٠ أى أننى أنقـــد الاشياء لنفسى ٠

ـ اذن فلا علاقة لك بالصحف ؟

ـ كلا ٠٠ والحمد لله

وتنهدت السيدة بارتياح كما لو أزيل عن عاتقها حمل ثقيل ثم قالت له :

ـ صدقت ياسيدى ، انه يحطم مواهبه شيئا فشيئا لانه يقضى وقته على موائد الميسر بدلا من أن يقضيه فى التمرن فسألها :

ـ ولكن كيف عرفت ياسيدتى ؟

فأجابت :

ـ أنه زوجى ٠٠ ياسيدى !

ومضت السيدة تتكلم عن زوجها وتعدد اخطاءه وعثراته ومثالبه ورينير يأنس لحديثها ويرى فيه لونا جديدا من ألوان

التسلية • وسرعان ماتوطدت بينهما المعرفة فما ان انتهى العرض حتى سارت بنا الى زوجها وقدمته لنا ، ودعاهمـا رينير للعشاء فى أحد المطاعم الانيقة ، وهناك أبدت السيدة رغبتها فى أن تشاهد احدى الروايات التمثيلية وحددت رواية معينة تدعى « حيوا العلم » قائلة ان أحد الممثلين المشهورين يقوم فيه بدور البطولة ••

ـ هذه رواية قديمة ولست أدرى ما اذا كانت تعرض للآن ؟

فأجابت السيدة :

ـ أجل ، لقد أخبرنى أحد الاصدقاء فى الفندق أنها تمثل الآن فى مسرح بانفورد فى ضواحى لندن ••

فأجاب رينير :

ـ ليس أحب الى من ان نقضى السهرة معا •••

ثم التفت الى وقال :

ـ اتصل بالمسرح تليفونيا واحجز لنا مقصورة •

وعلى الرغم من أن المسرح كان من مسارح الدرجة الثانية الا أننا أمضينا فيه سهرة ممتعة حقا ، فيما عدا الموسيقار نافودا الذى ظلت زوجته توقظه من حين لآخر حتى نزل الستار لآخر مرة •

أما الرواية نفسها فقد بدأ ظهورها على ما أظن بين عامى ١٩١٤ و ١٩١٥ كمأساة حماسية تبين قسوة الالمان وفظاعتهم وتتخللها مقطوعات حماسية لازكاء روح الحماس فى نفوس المتفرجين كما لا تخلو من بعض المواقف الهزلية لتخفف عنهم وتحول دون تسرب الملل الى قلوبهم • على أن مرور ربع قرن على الرواية بدل من معالمها فرجحت كفة الفكاهة فيها على كفة الحماسة • وكلما مرت السنوات اختفت المقطوعات الحماسية

منها لتحل محلها أخرى مليئة بالدعاية والفكاهة • وحتى مابقى منها أصبحت روحه الجدية لاتقابل من الجماهير الا بالضحك• وهكذا لعبت أيدى المخرجين المتعاقبين بالرواية حتى لم يبق من معالمها الاولى سوى اسمها « حيوا العلم »

وعندما غادرنا المسرح ألفيت حال رينير قد تبدلت فقد عاوده الجمود فجأة ، والتزم الصمت فلم يخاطب ضيفيه مطلقا سوى بتحية الوداع عندما بلغت السيارة فندقهما ، ثم أمر السائق أن يعود بنا الى المنزل وما أن تحركت السيارة حتى قال :

ـ لاشك انها هى التى حطمته •• وقضت على مستقبله؟

ـ وكيف عرفت ذلك ؟

ـ انى أتلمس فى عزفه بقية من مهارة فنية قديمة •

ـ ولربما يكون قد حطم حياتها بالمثل ، فأية سلوى لها فى حياة تقضى على وتيرة واحدة بين المسارح والفنادق وموائد القمار ••• وما رأيك فى رواية الليلة ؟

ـ بديعة ، وخاصة نهايتها التى تناولتها أيدى التجديد••

ـ يخيل الى أنك شاهدتها من قبل ؟

فأجاب وهو يمر بيده على جبينه :

ـ أظن ذلك ••• ولكن لست أذكر متى •• أو أين•••

ـ ليس فى ذلك ما يوجب الدهشة فلقد مثلت فى البلاد من أقصاها الى أقصاها سنوات عديدة

ـ الامر أكثر من ذلك ••• اننى لم أشاهدها فقط •• وانما ••

وكف عن الكلام فجأة ••• ثم سأل :

ـ هل لديك مانع من أن نتجول قليلا بالسيارة قبل أن نعود الى المنزل ؟

ـ كلا ... بكل تأكيد .. ولكن ما الذى حدث ؟ انك تبدو ...

وتوقفت عن الحديث كى لا أصرفه عن أفكاره ولكنه استطرد قائلا :

ـ حدثنى ... كيف أبدو

فقلت له وأنا أجتهد أن تكون لهجتى عادية ما أمكن خالية مما يثير :

ـ تبدو كما قابلتك أول مرة فى القطار عندما رأينا الجبل وحسبت أنك عرفته .. يوم ذكرى الهدنة ..

فقال يكرر عبارتى :

ـ يوم ذكرى الهدنة ... يوم الهدنة

ثم استأنف يقول فى لهجة عادية كما لو كان يتلو شيئا من صفحة قديمة منشورة أمامه :

ـ كنت فى المستشفى ... أعنى أول يوم للهدنة .. اليوم الاصلى... الحقيقى

ثم انتفض فى مكانه وأمسك يدى فجأة بقبضته القوية وهتف :

ـ أجل ... لقد تذكرت .. كنت فى ملبورى ...

ولم أنطق بحرف واحد كيلا اقطع حبل ذكرياته التى أوشك أن يستجمعها .. استطرد :

ـ أذكر عددا من المستشفيات تنقلت بينها . الاولى فى سنلاجر ثم هانوفر بالمانيا ... وحدث بعد ذلك الاتفاق بين الفريقين المتحاربين على تبادل بعض الجرحى من ذوى الحالات السيئة التى قد لايرجى لها شفاء . وتم التبادل فى الاراضى السويسرية . وعدت الى انجلترا ... وأمضيت فى أحد مستشفيات برمنجهام بعض الوقت ... ثم فى هاستنج ..

ثم أماكن أخرى بالقرب من مانشستر ٠٠٠ وأخيرا ملبورى٠٠ أجل هذاهو المستشفى الاخير٠٠أريدأن أذهب الىملبورى٠٠٠!

ولزمت الصمت خشية أن يكون أى لفظ أنطق به بمثابة الطلسم الذى يفك السحر أو يفسد الحلم ٠ وكأنما أدركشيئا مما أعنى بسكوتى فكرر عبارته فى لهجة هادئة :

ـ هل لديك مانع من أن نذهب الى ملبورى فى الحال ؟

فأجبته بأن السائق قد يكون متعبا ٠ فانه قضى النهار فى نقل الضيوف ٠ واقترحت أن نعفى السائق ليستريح على أن أحل محله ٠٠

وجلست فى مكان السائق وجلس رينير الى جانبى وهو يقول :

ـ أرجو أن تكون ملما بالطريق ؟

ـ سنخترق حى ستبنى ثم ستراتفورد ٠٠ أليس كذلك ؟

ـ لاتسألنى ، فاننى لم أر المكان منذ ذلك الصباح الذى غادرته فيه ٠٠

ـ أتذكر انه كان « صباحا » ؟

فالتفت الى مسرعا وقال :

ـ هل قلت ذلك ٠٠ ؟ أجل ٠٠٠ أذكر ذلك ٠٠ لقد كان « صباحا » ٠٠٠ ولو أمكننى أن أرى المكان ثانية ٠٠ ؟

ـ أخشى أن يحول ظلام الليل دون تبين المعالم تماما

ـ وبالمثل كانت المعالم مختفية فى المرة الماضية ٠٠ كان الضباب مخيما ٠٠ ياالهى ٠٠ وذلك شىء جديد ٠٠ « الضباب » ٠٠ دعنى أتكلم كما اريد أو كما أشعر ٠٠ ولا

تجبني ، فقط انصت لما أقول واجمع شوارد المعلومات التي ترد ضمنا في عبارتي ..

واجتزنا بالسيارة المدينة الهاجعة وكان الليل قد انتصف عندما عبرنا قنطرة باوبردجوتوسطناضاحية ملبوري والتفت اليه أنتظر تعليماته .

وكان يتطلع من النافذة ويحاول التعرف على المكان . وكانت الامطار قد أشتدت لتصبح عاصفة عاتية . وأبصر بنا شرطي يلوذ بباب حانوت ليقيه السيل المنهمر ، فسألنا في شيء من الشك والريبة :

ـ أتبحثان عن مكان معين ؟

ورد رينير الى نفسه والتفت الى مصدر الصوت وقال مجيبا :

ـ أجل .. المستشفى .. أين المستشفى ؟

ـ أيهما تعني ياسيدي ؟ القديم أم الجديد ؟

فأجابه رينير مترددا :

ـ القديم على ما أظن .. !

ـ انها فوق التل .. ولها بوابة كبيرة ويحيط بها جدار مرتفع ..

وبدت الحيرة على وجه الشرطي ثم قال :

ـ ولكن هذه الاوصاف لاتنطبق على واحد منهما ..

وفيما كنتأهم بشكره وأدير محرك السيارة لنستأنف سيرنا . خرج من مكمنه وتقدم منا ثم انحنى نحو نافذة السيارة وقال موجها الخطاب لرينير :

ـ لعلك تعني مستشفى الامراض العقلية !؟

الفصل الرابع

كانت التأتأة اظهر اعراض مرضه ، فكلما حاول الكلام ملكته وأعيته فيسكت ، وقد لقى منها الأمرين حتى أصبح يفضل أن يعبر عن كل مايريده كتابة • وكان قد انتقل حديثنا الى مستشفى ملبورى ، الامر الذى كان له في نفسه أثر مؤلم ، لانه بحكم هذا الانتقال قد حرم من الاطباء والممرضين الذين عرفهم وعرفوه وتبينوا نواحى مرضه وقطعوا مرحلة فى تشخيص دائه واعداد دوائه • أما فى هذا المستشفى الجديد حيث وجوه جديدة وبيئة جديدة فسيبدأ كل شيء من أوله •

وخرج فى هذا الصباح من شهر نوفمبر الى حدائق المستشفى ليسير المسافة المقررة له فى كل يوم كجزء من الرياضة التى يستلزمها العلاج وأمكنه رغم الضباب الذى كان يملأ الجو ان يبلغ باب الحديقة الخارجى ، وفى تلك اللحظة ، وعلى حين فجأة ؛ دوت صفارة أحد المصانع المجاورة فى شدة وعنف وفي غير موعد مألوف • وما هى الا ثوان معدودة حتى تلتها ثانية وثالثة وسرعان ما امتلا الجو بالصفير والهدير •

وخرج حارسا بوابة المستشفى من كوخهما واسرعا الى عرض الطريق لايلويان على شيء • أما فى الطريق فقد ساد الهرج والمرج وانتشر الناس هنا وهناك يركضون ويرقصون ويهتفون ويصافح بعضهم البعض •• وقد عمهم الفرح الشديد فرح يغشى حواشيه شيء من بقايا الذعر وآثار الفزع

كل ذلك لان الحرب قد توقفت وأعلنت الهدنة بين الفريقين المتحاربين فحقنت الدماء وأرجىء حصاد الارواح •

ووقف يتردد بالباب قليلا لا يدرى ماذا يفعل أيعود الى المستشفى البغيض الى قلبه أم يسير الى الامام ؟ وآثر أن يسير

الى الامام لان العدد الكبير من المرضى الذى حشد فى هـــذا المستشفى كان يزعجه • وسار فى خطوات هادئة قصيرة • ولو ان احدا فى تلك اللحظة دعاه للعودة الى المستشفى لعاد من توه •

كانت فكرة الفرار غير متوفرة لديه ولكن رؤية الباب مفتوحا وغياب الحارمين هو الذى شجعه على الخروج ليلقى نظرة على العالم الخارجى ••

وسار فى الطريق المزدحم حتى اعترضه طريق آخـــر اكثر هدوءا فاجتازه ، ودخل أول حانوت قابله فى الناحية•

كان داخل الحانوت مظلما الا من مصباح خافت أمكنه ان يتبين على ضوئهالهزيل عجوزا متدثرة بمعطف سميك •وحاول أن يتكلم ليبتاع علبة سجائر ولكن لسانه كان معقولا لاينطق بالمقاطع الصوتية التى يتفوه بها بقية الآدميين ، وعندمـــا استجمع قواه وأجهد نفسه تملكته التأتأة •

وسكت عندما رأى العجوز تتحرك ، فظن أنها أدركت طلبه ، ولكنه دهش عندما أبصر بها تلج بابا يؤدى الى حجرة داخلية • وحانت منه التفاتة فأبصر فتاة فى ريعان الشباب تقف على مقربة منه • ولم يدر هل كانت فى الحانوت قبله أم لحقت به • وسمعها تقول له فى عطف ظاهر :

ـ لقد ذهبت لتستدعى الحراس تليفونيا •• لانها تعلم من أين أتيت •• ؟

وتطلع اليها فى وجوم بينما استأنفت تقول :

ـ انك قادم من المستشفى القـــــريب •• ؟ أليس كذلك •• ؟

فأومأ اليها برأسه مجيبا بينما تابعت حديثها تقول :

ـ ماكان لها ان تسرع بهذا الشكل ، خاصة فى مثـل

هذا اليوم الجميل الذى توقفت فيه الحرب وأعلنت الهدنة ·· ومن جهة أخرى يبدو عليك أنك هادىء الطباع ·· اعنى لست خطرا ··

وكأنما خشيت ان تؤلمه عبارتها هذه فاعقبتها بابتسامة كلهم عطف . ورثاء · وعندما رأته يبتسم لها بالمثل قالت له :

ـ مادمت قد فررت من هناك فجدير بك ان تغادر هذا المكان فورا والا أدركوك ·

وابتسم ثانية وهو فى دهشـــة عظيمة · ولعـل أعظم دهشته يرجع الى انه يرى شخصا آخر ينزله منزلة العقــلاء الاصحاء ويحدثه حديثا معتـــادا بل ويخلص له النصيحة ، كانت تجربة سارة ود لو امتدت واســتمرت بعض الوقت · ورد الى نفسه عندما سمع وقع أقدام العجوز قادمة ، فأسرع وغادر الحانوت وانطلق فى الطريق لا يلوى على شىء ولم يطل به السير حتى أدركه التعب فتوقف بجانب سور احدى الحدائق وأمسك بقضبانه الحديدية · وفى تلك اللحظة أبصر بالفتاة نفسها تظهر بجانبه فجأة وتمسك بذراعه فى رفق وتقول له:

ـ ماذا بك ·· لقد تبعتك عندما تبينت فى وجهـــك انك متعب جدا ·

ووقف مترددا وتطلع اليها فى حيرة وقرأ على قسمات وجهها علامات الرحمة والعطف سواء تـكلم أو صمت ·· أفصح أو تأتأ ·

وكأنما أدركت مايجول فى خاطره فقالت له :

ـ اعتمد على ·· استند على اذا أردت ، وتكلم أو اسكت كما تشاء ، فقط لاتكن عصبيا ·· واترك نفسك على سجيتها

وأراد أن يقول لها انه ليس بمريض ، لكنه التعب من السير قد أنهكه وأعياه · ثم خشى اذا هو تفوه بهذه العبـارة

أن تغلبه التأتأة . فأخذ يرددها فى نفسه فى لهجة خافتة وخيل اليه أنه يسمع صوت نفسه واضحا جليا فرفع نبراته واذا به يتكلم فى وضوح وجلاء كبقية الناس ، ولم يصدق أن المعجزة قد حدثت وانه عاد فصيحا كما كان فأسرع ليسأل الفتاة :

ــ هل سمعت ماقلت ؟ هل تسمعين ما أقول ؟

فقالت له تشجعه :

ــ أجل .. أجل .. ألم أقل لك أن ليس بك من شىء . وكلما اجتهدت فى أن تهدىء أعصابك تم شفاؤك .. والآن الى أين أنت ذاهب ؟

ــ لست أدرى .. كنت فقط أتريض .

ــ اذن فأنت لست بهارب من المستشفى ؟

ــ ليس ذلك تماما . لم أفكر فى ذلك أو أدبر له . غاية الأمر اننى وجدت الباب مفتوحا والحارس غير موجود فمررت فى هدوء .. ولو نادانى أحد لرجعت .

ــ لقد سمعت أنهم يسيئون معاملة المرضى هناك .

ــ لم يسيئوا معاملتى .. فحالتى خاصة .

ــ ولكنك على كل حال لاتريد أن ترجع .. ؟ بل وكيف يمكن أن تتقدم صحتك فى مكان لاتشعر فيه بالسعادة .. ألا تريد أن نسير قليلا ؟

ــ لابأس ، على أن نتجنب ماأمكن الطرق المأهولة لاننى أكره الزحام .

ــ أعرف مقهى على مقربة من هنا .

وسارا الى المقهى وبعد أن جلسا الى احدى المناضد المنعزلة قالت له :

ــ مالك تتطلع للخادم منعورا .. كأنك تخشى أن

بأكلك ؟

ـ لانه ليس معى نقود ..

ـ لاتحزن فان معى مافيه الكفاية

وبعد أن شربا القهوة الساخنة التي أحضرها الخادمقالت له تسأله :

ـ والآن .. ماهو برنامجك .. هل ستتصل بذويك ؟

فأطرق برأسه نحو الارض ثم قال لها :

ـ سألخص لك الآن حالتى لتكونى على بينة .. لقد اصبت في سنة ١٩١٧ بشظية من قنبلة انفجرت على مقربة مني وأصابت رأسي ، ووقعت أسيرا في يد الالمان حيثعولجت في مستشفياتهم وشفيت من الجرح الذى أصابنى ، ولكن الصدمة تركت أثرا سيئا ، اذ أورثتنى فقدان الذاكرة فنسيت كل ما يتعلق بماضى منذ أصبت . ثم حدث أن تبادل الفريقان المتحاربان بعض المرضى من الاسرى بواسطة سويسرا ، وكنت بين الذين استبدلوا فقدمت الى انجلترا وأخذت أتنقل بين مستشفياتها حتى اليوم .

ـ أما زلت تعانى فقدان الذاكرة ؟

ـ أجل .. ولقد حاولت ادارة المستشفى أن تعرف أهلى وذوى قرابتى فأعلنت ونشرت بعض الاوصاف ، وحضر بعض الناس فعلا ، ولكنى للاسف لم أكن ابنهم الذى يبحثون عنه. لست أذكر شيئا من ماضى حتى ولا اسمى ..

وأمضينا فترة طويلة من الوقت فى حديث هادىء .

وتبينت أن النصب يتمكن منه شيئا فشيئا فدفعت ثمن القهوة ، وسرعان ما احتواهما الضباب الذى كان لايزال يملا الطرقات .

ولزم الصمت منذ غادرا المقهى وما أن ابتعد قليلا حتى

أبصرت به يتهالك مرة واحدة ويقع مغمى عليه ..
وتجمع المارة وتعالت الجلبة وكثرة الاقتراحات ..
ـ من هذا .. جندى فى ثياب المستشفى مغمى عليه .. اسكبوا قليلا من البراندى فى فمه ...
كلا .. كلا .. لاخمر الا باذن الطبيب . يبدو أن هذه الفتاة معه
وحمله بعض المارة الى حانوت بدال مجاور ، وهناك بعد الحاح من الفتاة قبل البدال أن تنقلهما عربة الى الجهة التى تريدها ..
وعندما رد الى نفسه كانت تحاول ايقاظه ، فنزل من العربة ومسألها :
ـ الى أين .. ؟
ـ الى فندق قريب يدعى « فندق البومة » اذا أعجبك الاسم ...
ـ ألا يكون من الافضل أن أذهب الى المستشفى ؟
ـ لاتذهب قبل أن تسترد قواك
ـ ربما عارض صاحب الفندق ؟
ـ كلا فهو صديق ..
وعندما مرا من باب الفندق كان صاحبه ثملا يتوسط جماعة من رواد الحانة يحتفلون بالهدنة وقد تمكن منهم الشراب واستخف بهم الطرب ، فحيا الفتاة فى عبارة مقتضبة دون أن يلتفت الى من معها ..
وسارت به تخترق حديقة خلفية وهي تقول :
ـ هذه الحديقة جميلة جدا وخاصة فى الصيف حيث يقدمون الشاى والمرطبات
ـ لم أتبين تماما الاسم الذى حياك به .. ؟

ـ بولا ٠٠ بولا روجواى ٠ ولو أنه ليس اسمى الحقيقى ٠٠ وما اسمك أنت ؟

ـ سميث٠٠ هكذا يدعوننى٠٠ وهو ليس اسمى الحقيقى كما تعلمين ٠

ـ حسبى أن أدعوك سميث ٠

وسارت به الى درج متهالك يؤدى الى الدور الأعلى حيث توجد الحجرات المتواضعة التى أطلقوا عليها اسم الفندق ٠

ـ ولكن كيف يمكننى أن أقيم هنا وليس بوسعى أن٠٠

ـ اصغ الى ياسميث ٠ لقد انتهت الحرب هذا الصباح ومتى كان انتهاء الحرب أمرا ممكنا فما عداه من الاشياء ممكن أيضا ٠ ستقيم هنا وستكون في مأمن ٠ اننى أعرف بيفر صاحب الفندق والحانة معرفة جيدة وسأدبر الأمور معه، هو ملاكم محترف قديم والود بينه وبين رجال البوليس مفقود ، ولهذا تراه يشجع كل ما يعرقل مساعيهم ٠

ودخلا احدى الحجرات ودعته للجلوس على الفراش ثم ركعت بجانبه وأخذت تحل رباط حذائه وتقول له :

يجب أن تخلع حذاءك قبل أن تتمدد فوق هذا الفراش النظيف ٠ سأذهب لأحضر لك قليلا من الشاى ٠

وما أن خرجت حتى نزع حذاءه ٠ وشعر بمزيد من التعب كأنما قام بمهمة شاقة ، فتمدد فى الفراش وسرعان ماغلبه النعاس ٠ وعندما أفاق ثانية أبصر بالفتاة تجلس بجانبه وفى يدها قدح مملوء بالشاى ٠٠ قالت له :

هل استيقظت ٠٠ لقد نمت ثلاث ساعات متواليات وهذه رابع مرة أعيد تسخين الشاى ٠ كيف حالك الآن لقد بعثت الى الطبيب ٠

وأقبل الطبيب بعد قليل وما أن تبين ثياب مريضه حتى

احتج متذمرا وقال ان حمى الانفلونزا تكتسح لندن بأسرها وانه لايمكن أن ينفق وقته مع جنـــدى هارب من المستشفى العسكرى ، وغادر الفندق مهددا بأن يبلغ عنه فورا • وكان عند حد قوله اذا أقبل رجال المستشفى فى سيارتهم بعد قليل ولكن بيفر برجس صاحب الحانة تكفل بهم فدعاهم الى الحانة وهناك أظهر من الكرم ما ألجم ألسنتهم وشيعهم وهو يؤكد لهم أنهم أخطأوا العنوان •

وفى الصباح حملت بولا الى صديقهـــا احدى الصحف وقالت له :

ـ لدى أخبار سارة اليوم • لقد قررت الحكومة أن تمنح جميع الجنود مكافآت مالية •

ـ هذا يقتضى بعض الوقت ياعزيزتى ، فماذا أفعل فى الوقت الحاضر ؟

ـ وما يزعجك فى الوقت الحاضر ؟

فقال لها والألم يبدو فى نظراته :

ـ لست فضوليا ياعزيزتى ولكن ربمـــا كانت حالك لاتسمح لك بمساعدتى حتى أنال مكافأتى •

ـ حقا لست بالمثرية ولكن مســاعدتك بعض الوقت لن تسبب لى أفلاسا •

ثم جلست بجواره على الفراش وقالت له :

ـ ولماذا لاتريد أن تكون فضـوليا ؟ لماذا لا تريد أن تسأل ؟ ان العنصر الرفيع يغلب عليك يافتاى العزيز • من يدرى ربما كنت لوردا أو كونتا أو ما الى ذلك من أصـــحاب الألقاب دون أن تشعر • لقد تكلمت كثيرا أثناء نومك ولكن كان كل حديثك عن الحرب • • ؟ والآن أشـــعر بأن الحمى قد انخفضت قليلا •

ـ هل تقيمين فى الفندق ٠٠ ؟

ـ أجل لقد سببت الانفلونزا كسادا لدور الملاهى فأغلق المسرح الذى أعمل فيه أبوابه مؤقتا ٠

ـ وهذا ما يجعلنى اتساءل أكثر منذى قبل كيف يمكنك اداء نفقاتى ؟

ـ سأطلعك على السر ٠٠ أن بيفر صديق ، وقد قبل ان يتريث حتى تشفى وتنال مكافأتك فتسوى حسابك معه ٠ أريت اننى لا أدفع شيئا ٠٠ والآن سأتركك لتستريح ٠ وأكرر لك أن اسمى بولا ٠٠ فلا تنسه كما نسيت كل شىء ٠

وبعد أيام كان قد استرد صحته تماما وأمكنه ان يغادر الفراش ويمضى بعض الوقت فى الحديقة الخلفية ، وأقبلت بولا باشة كعادتها ولكنها تبينت القنوط مرتسما على قسمات وجهه فقالت له :

ـ فيم التفكير ثانية ٠٠٠؟

ـ فى موضوع المكافأة ٠٠٠ لن أنالها الا اذا تم تسريحى رسميا ٠٠٠ وهذا لا يكون حتى تعطينى ادارة مستشفى الامراض العقلية شهادة بأننى شفيت تماما ٠

ـ وماذا يهمك ؟ عليك أن تبقى هنا حتى يتم شفاؤك ، والآن هل يمكنك أن تعنى بالحديقة قليلا فى أوقات فراغك ٠؟

ولكن ثمة عمل آخر كان ينتظره ٠ وذلك أن بيفر كان جد مغرم بحل مسابقات الصحف كألغاز الكلمات المتقطعة وغيرها ٠ ورغم ضآلة ثقافته كان مندمجا فيها بكليته لا يفوته منها شىء وعندما آنس فى سميث مستوى من التعليم يعلو على مستواه عهد اليه بمهمة حل المسابقات وارسال الردود للصحف نيابة عنه ٠ ويشاء الحظ أن يربح بيفر احدى الجوائز الكبرى وقدرها مائة جنيه ، وكان سروره لذلك عظيما وما أن

تسلم المبلغ حتى قدم نصفه لسميث على سبيل الاعتراف بالجميل .

ولم يمض أسبوع حتى أقبلت عليه بولا فى عصر أحد الايام واقتحمت عيه باب الحديقة مسرعة وهى تقول :

ـ دع كل شىء وأسرع الى الغابة القريبة وانتظرنى هناك ..

ـ لماذا .. ؟

ـ يوجد فى الحانة رجلان من موظفى مستشفى ملبورى يتحدثان مع بيفر ..

ـ ولكنه لن يشى بى ..

ـ لن يفعل ذلك وهو مالك لقواه العقلية .. أما اذا كان ثملا .. فهذا شىء آخر ..

ـ والى أين نذهب ياعزيزتى ؟

ـ ستسافر فرقتى المسرحية الى (سلشستر) حيث نمضى أسبوعا فماذا لو صحبتنا . أن غرضى الوحيد هو أن أساعدك ..

ـ اننى أعلم اشفاقك على ولكن ألا ترين ان الوقت قد حان لكى أساعد نفسى ؟

ـ فى هذه اللحظة المنكرة ؟ لقد أسأت اختيار الوقت ..

ـ لا تظنى اننى جاحد لجميلك .. ولكن ..

ـ اعلم ما يجول بخاطرك .. لا بأس . ليكن سفرك على حسابك الخاص . اين المالك الذى معك ؟

وأخرج الخمسين جنيها التى يحتفظ بها وقدمها لها فى التو فقالت له :

ـ أعطنى نصفها ابق النصف معك لتنفق منه .

وكان طوال الرحلة سلشستر يشعر بأن حاجزا بدأ يقوم بينه وبينها وانها لم تعد توليه عطف الايام الاولى وقت أن كان يئن من وطأة المرض ·

وعندما بلغا المدينة نادت احدى السيارات وقالت له وهى تهم بالركوب دون ان تدعوه :

ـ اختر لنفسك الفندق الذى يروق لك ، أما أنا فسأقيم مع بقية الفرقة ·· اسعدت مساء ·· انتبه لنفسك جيدا · لا تنس انك وعدتنى أن تحضرلمشاهدتى فى مسرح الهيدروم ·

ـ أسعدت مساء ·· يابولا

ـ وأمضى الايام الخمسة الاولى فى مشاهدة معالم المدينة والتنقل بين مقاعد حدائقها العامة وكلما انتابه الملل من واحدة أنتقل الى الاخرى · وحاول خلال هذه الايام الخمسة أن يذكر شيئا من ماضيه أو يتعرف حقيقة نفسه ولكن ذاكرته كانت تخذله فى كل مرة ·

وساقته قدماه الى (مسرح الهيدروم) حيث كانت تمثل رواية استهواه اسمها ·· « حيوا العلم » · وكاد يضيق بها صدرا ويغادر مكانه لولا ان ظهرت بولا على المسرح تقوم بدور ثانوى · وعلى الرغم من تفاهته فقد أعجبه وأثار اهتمامه · وعندما نزل الستار لآخر مرة ونهض لينصرف لحق به أحد الخدم يدعوه لمقصورة الممثلات ·

وأقبلت بولا تحييه ببشاشتها المعهودة :

ـ شكرا لك ياسميث ·· اذ بررت بوعدك ·

ـ لقد كانت رواية جميلة ·· ولقد اتقنت دورك ·

ـ أوه ·· دعنا من هذا ·· كيف صحتك الآن · أراك أفضل بكثير ·· وماذا فعلت خلال هذا الاسبوع ؟

ـ لاشيء سوى التجول باحثا عن عمـــــل ، ولكنى لم

يوفق .

ـ لا بأس ستسافر الفرقة غدا الى مدينة بلتشلى ولربما كنت أكثر حظا هناك .

ـ لا بد ان أجد عملا فى مكان ما ..

ـ لا تنزعج ، فما زلت احتفظ لك ببعض المال .

ـ ولـكن ..

ـ لكن ماذا . ؟ هل ظننت أننى أخذته لنفسى ؟

ـ لست أدرى ، ولو فعلت ذلك لما كان فيه ضير ، لانك قد تكبدت كثيرا من أجلى .

ـ استمع الى ياسيدى الصغير . اننى أخذت هذا المال لأدخره لك من جهة ولانى اعلم من جهة أخرى انك تكون أسعد حالا عندما تشعر باننى انفق عليك من مالك الخاص .

وأقبل أحد الخدم يدعوها للاستعداد لدورها . فشكرته واستطردت تقول :

ـ أرجو أن يوفق لعمل فى أقرب وقت .. الا تخبرنى ماذا يمكنك ان تفعل .. وهل مازلت تخشى الاختلاط بالناس . أوه .. لقد أقبل الخادم ثانية ويجب ان انصرف . ألا يمكن أن أراك الليلة ثانية .لقد تعود أفراد الفرقة أن يتناولوا العشاء معا مساء السبت من كل أسبوع ، ولا بأس من أن ندعو بعض الاصدقاء ، ماذا لو حضرت ..

ـ سأحضر .

ـ هاك العنوان . حيث تقيم الفرقة .. لا تنس !

وما أن ناولته البطاقة حتى دوى الجرس مؤذنا بحلول دورها فتركته وانصرفت مسرعة .

وأمضى ليلة سعيدة تمتع فيها بالعشاء الشهى وأنس فيها بحديث أفراد الفرقة وقد قدمتهم بولا له فردا فردا .

فرحبوا به وأدهشه أنهم عندمـــا هموا بالانصراف كان كل منهم يشد على يده ويقول له ٠

ـ نراك غدا في القطار يا سميث ٠٠

فقال لبولا ٠

ـ انظرى كم بلغ بهم الظرف ، أنهم يتوقعون أن أودعهم بالمحطة غدا ٠٠

ـ ليس هـــــذا ، بل يعنون أنهم سيرونك معهم فى القطار ٠

ـ ولـــكن ٠٠

ـ لا تجادل ٠٠ لقد توليت الشرح نيابة عنك ، وسيعهد اليك بعمل ميسور هـــو فى الحقيقة مائة عمـل مندمجة فى بعضها ! وستظل مع الفرقة ما أردت ، حتى اذا ما لاحت لك فرصة أفضل رافقتك السلامة ٠

فسألها فى هدوء :

ـ ماذا قلت لهم عنى ٠ ؟

ـ جزءا من الحقيقة ، انك كنت مريضـا وقد تحسنت صحتك الآن ، وانك صديق يهمنى أمره ٠ ولكن كل ذلك لم يشفع لك فى الحصول على هذا العمل ٠

ـ ماذا اذن ٠٠؟

فابتسمت فى وجهه وقالت :

ـ لقد لمسوا فيك أثناء العشاء ، وبعده خلال السهرة ، أنك من عنصر نقى ٠

وهكذا بدأ عمله فى الفرقة ككاتب يقوم بأعمالها الكتابية وينسخ الادوار ويوزعها ، ومحاسب يمسك دفاترها ويضطلع بشئونها الماليـة ، ومندوب يجرى الاتفاقات والتعهدات وغير ذلك من الاعمـال التى اجتمعت له فكان يؤديهـا فى هدوء

وباتقان ولقى فيه مدير الفرقة خير معين فأكثر من الاعتماد عليه وزوده بثقته وظل يلازم الفرقة فى تنقلاتها حتى نزلت ذات يوم بمدينة (فلفرتون) ، فحدث ذات ليلة قبيل رفع الستار بدقائق أن أقبل أحد الممثلين المدعو بوندربى الى حجرته وقال له :

ــ سميث ! لقد أفرطت فى الشراب كما ترى ، وأخشى اذا ظهرت على خشبة المسرح أن لا أوفق فى القاء دورى . ألا تقوم به عوضا عنى .

وكان يعطف على بوندربى ويعلم أنه اذا فشل فى دوره فان المدير لن يغتفر له . ومن جهة أخرى كان دوره فى رواية « حبوا العلم » لا يتجاوز السطرين وكان يحفظهما عن ظهر تلب لتكرار سماعهما . فأجاب :

ــ لا بأس ، عد الى الفندق واذهب الى الفراش رأسا وسأقوم بدورك هذه المرة على أن لا تعود لمثلها ثانية !

وتركه بوندربى وخرج مترنحا ..

وأقبلت اللحظة المحددة للدور وظهر على المسرح ..

كان يرتدى ثياب جندى انجليزى وكان عليه أن يقول للضابط الجالس أمامه على المكتب :

ــ « لقد أقبل الاعداء يا سيدى فأمر باطلاق النار ... وان لم تفعل .. فعلت أنا » .

ثم يخرج مسرعا من الباب ..

وتطلع اليه الضابط سأله ماذا تريد ... ولكنه لم يجب .. وكرر الضابط سؤاله ، ولكن أغلق عليه .. لقد نسى الدور الذى كان يحفظه عن ظهر قلب والذى سمعه عشرات المرات . وزاد من هلعه أن تطلع الى الصالة وأبصر بالجماهير تحدق به النظر كما لو كانت أشباحا توشك أن تنقض عليه ،

واستجمع قواه ليتكلم ونطق بالشطر الاول من العبارة بشق النفس وعندما بدأ بالبقية عاودته التأتأة القديمة التى هجرته طويلا ‥ ودب الذعر فى قلبه · ونطق بالكلمات فى صعوبة وقد تقلصت عضلات فكه وأعوج فمه واكفهر وجهه ثم تراجع مسرعا نحو الباب ليخرج منه وقد سرت موجة من الضحك من الجماهير ظنا منها أن هذا الاضطراب متكلف مصطنع ، وزاد من كربه أن أمسك بمقبض الباب ليفتحه واذا بالمقبض يخرج فى يده ‥ فضج النظارة بالضحك ·

وهرول مسرعا الى حجرته واستلقى على أحد المقاعد يلهث من فرط التعب ويجفف سيل العرق الذى كان يتصبب منه فى غزارة ، وكان الوهم قد تملكه فأفرط فى تقدير العواقب السيئة المترتبة على فشله هـذا ، فلن يغتفر المدير له هذا الذنب أما بالنسبة لصـديقه بوندربى السن فسيكون الامر كارثة وأخذ يفكر على عجل ويحاول أن يجد مخرجا من هذا المأزق ، ولم يهده تفكيره الا لحل واحـد هو أن يغادر الفرقة فورا ، وزاد من ترجيح هذا الرأى لديه تلك الظاهرة المنكرة التى لاحت له ‥ ألا وهى عودة التأتأة ‥

وتسلل من باب المسرح الى الطريق ···

وركض حتى بلغ الفندق فجمع حوائجه ثم ترك رسالة لبولا يؤكد لها انه أمضى فى صحبة الفرقة أياما سـعيدة ، وانه لن ينسى المساعدات المتوالية التى قدمتهـا له ، ومن الضرورى أن يعتمد على نفسه منذ الآن ·

وأسرع الى المحطة وعندما قرأ جدول القطارات رأى أن أولها يسافر الى مدينة (فالنجهام) ويصل اليها بعد الفجر بقليل ·

وعندما تحرك القطار بدأ يتنفس الصعداء · وتلكأ القطار

بين كثير من المحطات . وتوقف أخيرا بمحطة صغـــيرة نائية تدعى « بتشنج أوفر » ..

وكانت الشمس فى تلك اللحظة قد أخذت تعـلو الافق وترسل أشعتها الذهبية فتملأ المروج نورا ودفئا .

وخطر له أن ينزل بهذه المحطة بدلا من أن يبقى بالقطار فسيان عنده أنزل بهذه القرية أم تلك فكلها مجهولة لديه .

وسار فى الحقول متجها نحـــو القرية . وخرجت اليه عجوز مرحة من أول كوخ صادفه وعرضت عليـــه الضيافة مؤكدة أن كثيرا من السائحين ينزلون بكوخها .

وبعد أن استراح لديها وتناول طعام الافطار سألته عما اذا كان يريد أن يتسلق التل المجاور ذا القمتين ليرى البحيرة الجميلة التى بينهما وليشرف من فوقه على المقاطعـات الخمس التى تتجمع حدودها عند هذا التل .

ورحب بالفكرة فسار نحـــو التل وتسلقه حتى بلغ القمتين .

وما أن رأى البحيرة حتى استهواه منظرها فخلع ملابسه وقفز الى الماء . وعنـدما أتم استحمامه عاد فارتدى ملابسه وأوى الى ظل صخرة مجاورة واستسلم لنوم عميق .

ولا يدرى كم ظل مستغرقا فى نومه ، الا انه شـــعر بالحرارة عندما تحولت الشمس عن الصخـــرة وسقطت على وجهه .

وكان أول مالفت نظره أن رأى فتاة تجلس على الصخرة وتعبث بقدميها فى الماء ، فظل يتأملها بعض الوقت حتى عرفها وانبعث فى نفسه الى جانب شعور المعرفة هذا شعور آخر من لون مخالف .

ولمحته يتطلع اليها فأسرعت اليه تقول :

ـ هل استيقظت ياعزيزى مسميث ٠٠٠ ؟ لماذا هربت هكذا ؟ أتشعر بمرض ؟ ماذا حدث ٠٠ ؟ لقد علمت من صاحبة الكوخ انك هنا فأسرعت اليك وبقيت الساعات الطوال أنتظر يقظتك ٠٠

ـ انى لجد آسف ٠٠٠

وقص عليها ما حدث بتفاصيله ٠٠

فقالت له :

ـ ما كان يجدر بك أن تقبل القيام بالدور على كل حال ٠ أما ما حدث فان الجميع يظنون انك تعمدت هذا الامر تعمدا لتثير ضحك الجماهير التى أعجبت بالموقف اعجابا كبيرا ٠ ولا يقل المدير عنهم اعجابا حتى انه قرر ادخال هذا المنظر ـ منظر مقبض الباب وهو يخرج فى يد الجندى عفوا ـ فى صلب الرواية ٠٠

ولم يدرك أحد منهم حقيقة الامر سواى ٠٠ لان حالتك ومنظرك على المسرح كانا كما قابلتك أول ليلة فى حانوت التبغ ٠٠

وأطرق برأسه قليلا ثم قال لها :

ـ بولا ٠٠ لماذا أقبلت فى أثرى ؟

ـ لاعود بك ٠٠ اننى ألاحقك كلما ظننت انك فى حاجة ماسة الى مساعدتى ٠ ومتى تبينت انك فى غنى عن هذه المساعدة انصرفت عنك ٠

ـ حقا لست أرى سببا يدعوك لملازمتى الا أن يكون نفس السبب الذى يحملنى على قبول هذه الصحبة ٠٠

ـ وهو ٠٠

ـ اننى أحبك ٠٠

واتفقا على الزواج ٠٠ وعلى أن تبقى بولافى الفرقة حتى يوفق الى عمل ٠٠٠

وقد وفق فعلا فى وظيفة فى مدرسة يديرها أحد القسس

ولم تجد بولا بدا من ترك عملها فى الفرقة بعد أن ظهرت عليها علامات الحمل ٠٠

وفى أحد الايام ٠٠ قرأ سميث فى احدى الصحف اعلانا عن وظيفة فى ليفربول بأجر يكاد يعادل ضعـــف أجره فى المدرسة ٠٠٠ فحزم أمره على أن يجرب حظه فى هذه الوظيفة الجديدة ٠٠

ورافقته بولا الى المحطة ٠٠ وهنــاك ودعته مشجعة ٠ وطلبت اليه أن يكتب لها بمجرد حصوله على الوظيفة لـكى تلحق به الى ليفربول ٠٠

ووصل سميث الى ليفربول ٠ وغادر المحطة تحت وابل من المطر ٠٠٠ وبينما كان يجتاز أحد الشوارع صدمته سيارة والقته على الارض فاقد الرشد ٠

الفصل الخامس

حدثنى رينير نفسه بالجانب الاكبر من هذه التفاصيل أثناء عودتنا من ملبورى ليلا ٠ أما البقية فقد جمعتها بعد ذلك من مصادر أخرى متفرقة ، وعدنا الى النادى رأسا حيث كان ينام كلما ذهبت زوجته الى الضواحى ٠ واقترحت عليه أن يلوذ بفراشه ظنا منى أن النوم والراحة ينشـــطان ذاكرته ويستنهضانها بعد هذا التقاعد الطويل ٠ ولكنه أبى على ذلك قائلا :

ـ لقد فتح باب الماضى وابتدأت ذكرياته المفقودة تعاودنى

واريد ان أخبرك بكل ما اذكره قبل أن يعاودني النسيان ثانية . واذا مانسيت شيئا مستقبلا فعليك أن تذكرني به أفهمت ؟

ثم استطرد :

ـ .. ما كنت أتوقع أن أعود وأذكر شيئا . وانه لمن الغريب حقا أن أذكر الاشياء بمثل هذا الوضوح . فلو ذهبت الى شارع فال لتعرفت على منزل القس بلامبيد صاحب المدرسة وهو رقم ٧٣ أو ٧٥ على ما أذكر لست متأكدا .. ولكن في هذا الكفاية على كل حال . ماكنت أحسب أن تعاودني ذاكرتي في مثل هذا الوضوح كما لو كانت محفوظة في ثلاجة أو حجرة للتبريد ..

واستأنف يحدثني ببعض التفاصيل الاخرى التي تقل اهمية أو ربما لا أهمية لها ولكن سروره بتذكرها كان عظيما أشبه شيء بالطفل الذي يبادر فيلعب بالرمال عند ما يبلغ شاطيء البحر ، ويلتقط ما يصادفه من محارات وأصداف حيثما اتفق شأنها ورونقها . وهكذا ظل الطفل الكبير يلتقط الحوادث العابرة من شاطيء الماضي وقد سر كل السرور لبلوغه اياه . وعندما بدت تباشير الفجر في الافق كان لا يزال يجمع ثمار الماضي بلا تمييز أو انتقاء ، ناشطا في هذا الحصاد الجزاف .

ولكنه ظل طوال الوقت يتجنب شيئا معينا كان يقلقني فلم يشر اليه بكثير أو قليل كما لو كان يتعمد اغفاله ما استطاع الى ذلك سبيلا .

ونهضت واطفأت نور الحجرة ثم رفعت الستائر عن النافذة . وكان منظر الفجر فوق نهر التايمز خلابا . فأخذ رينير يتأمله بعض الوقت ثم قال :

ـ لقد حان لنا أن نتوقف قليلا ·· أشعر اننى سأنام طوال نهار الغد ·· طاب مساؤك ·



وذهبت معه عصر اليوم التالى الى اجتماع احدى الجمعيات العمومية لشركة من الشركات حيث القى على المساهمين خطابا رائعا · وانصرفنا من هنالك الى مجلس العموم ليحضر جلسة المساء ··وسألته فى الطريق وقد تلمست دلائل الاعياء على قسمات وجهه :

ـ لماذا لا تذهب وتستريح ··؟

ـ استريح ··! استريح ··! أتفهم تماما معنى هذه الكلمة ··· ؟

ـ أعتقد ذلك ··؟

ـ كيف ·· كيف يمكننى أن استريح أو أقتنع قبل أن أعثر عليها ···

وهكذا رفع شارلز رينير الستار عن الشىء الذى كنت أتوقعه من شهور والذى كان يخامرنى من ساعة لاخرى كلما فكرت فى حالته · كان يسعى لمعرفة مصير بولا مهما كلفه ذلك ·

وقلت له فى هدوء :

ـ أظن ذلك متعذرا ·· بعد هذه السنين الطويلة ؟

ـ ولكن يجب أن أسعى وأحاول ··

ـ كان الواجب عليها أن تسعى من جانبها أيضا وهو ما يبدو أنها لم تفكر فيه ·

ـ من يدرى ؟ ربما حاولت ، وربما لم تحاول ·· ولكن هنالك ما لا يقل أهميه ··

ـ ماذا ··؟

ـ الطفل الذى كانت على وشك أن تضعه ·· ابنى ··!

فقلت له مبتسما : آن مجرد رجوع ذاكرتك اليك لايكفى لاثبات أن المولود سيكون ذكرا فابتسم وقال :

ـ حقا ، ولكننى كنت أرجو ذلك ·· ولو كان لا يزال على قيد الحياة لناهز الثامنة عشرة··يجب أن أبحث عنهما ·· ويجب أن اجدهما ·

ـ ولنفرض جدلا ـ رغم أننى ما زلت أقول باستحالة ذلك ـ لنفرض أنك نجحت فى هـــذا البحث فماذا تكون النتيجة ؟

ـ أعود سعيدا كما كنت وانفض عنى الى الابد هـذه الهموم التى تلازمنى ·

ـ والى جانب هـذه السعادة الشخصية ، الا تفكر فى النتائج الاخرى ·· اذا ما خلوت لنفسك !

ـ أى نتائج أخرى تقاس الى جانب سعادتى ·· ؟

ـ المشاكل التى ستتولد فجأة مثلا ··؟

ـ كأنى بك تقترح على أن استشير ترسلوف العجوز ؟

ـ اننى فى الحقيقة لم أفكر فى الناحية القـــانونية من هذه المشاكل رغم أنها ســـتوجد بلا شك بل كنت أفكر فى الناحية الاجتماعية من هذه المشكلة ·· ماذا تقول الصحف··؟ وأى ضجة تقوم حول اســـمك ·· ؟ وماذا يكون مستقبلك السياسى بعد ذلك ؟ والى جانب ذلك كله توجد زوجتك ·· ليكن شعورك الداخلى ما يكون ، فهذا شأنك انت وحدك · ولكن ماذا يكون موقف الزوجة ··؟

ـ ان كل ما يجب أن أفعله الآن لا يقاس بجانب ماكان يجب آن أفعـله من أجلهـــا ·· ولـــكن حسـبى أن أعثر

عليها أولا ..

- يبدو لى أن كلا منا يتكلم عن شخص آخر ... ما أردت زوجتك الاولى بل الحالية مسز رينير .

- أوه .. هيلين ؟!

ولم يجب بأكثر من هذا ، ولزمت الصمت بعض الوقت واردت أن أخفف عنه حدة الموقف فقلت له :

- وعلى كل حال ليس لدينا أى دليل على أن الزوجة الاولى مازالت على قيد الحياة فانفجر يقول فجأة :

- هذا صحيح ، على أنها اذا كانت لا تزال على قيد الحياة وأمكنني العثور عليها ، فثق انه لن يقف شىء فى سبيلى .. لن أخشى الفضيحة .. أو الضجة . أو اى عقبة أخرى .

وافترقنا على الاثر .. فانصرف الى مكتبه . وعدت الى منزلى . ولكنى لم أجد شيئا من الراحة . لان مشكلة رينير كانت تشغل ذهنى ، وتحتل تفكيرى . فأخذت استعرض حياته منذ البداية . ولم أكن قد خلعت ثيابى . فخطر لى أن أخرج للنزهة سيرا على الأقدام فى الحدائق المجاورة لبيتى .

وعدت قبل منتصف الليل . ووجدت خطابا ينتظرنى من رينير بعث به مع رسول خاص يقول فيه :

« ذكرت لك أننى ما زلت أحتفظ بخطاب كيتى . ووعدت أن أطلعك عليه يوما . وهاهو الخطاب . وانى لاعتقد انه يحوى من المعانى أكثر مما استخلصت .

شارلز رينير »

وقرأت فى خطاب كيتى :

« عزيزى شارلز

أكتب لك هذه السطور على عجل . ولكن بعد تفكير

طويل وبطىء ودقيق · والحق أننى أخذت أجمع كثيرا من الخواطر والسوانح منذ التقينا فى سويسرا الى أن ضمتنا مائدة المطعم ليلة أمس وعندما وضعت هذه الخواطر جنبا الى جنب ، رأيت النتيجة أمامى ظاهرة جلية ·

ان فى مقدورى أن أقترن بك · فقد قضينا معا أوقات سعيدة · وانى أعلم عن يقين أننى سأهنأ بالحياة معك · ولكنى لست أنانية · ولست كذلك من الغباء بحيث أظن أننى وحدى احتل قلبك · ولذلك قررت أن أقول لك « كلا » وأن ابعث اليك بهذه الرسالة فى الوقت المناسب قبل أن نرسل بطاقات الدعوة الى حفلة زفافنا ·

كم كنت أود أن أكون معك دائما ·· ولكنى أشعر بأننى لست المرأة التى تملأ ذهنك وقلبك ولطالما أحسست وأنا أتحدث اليك بأننى أذكرك بشخص آخر ··· وانك حينما تتحدث الى انما تتحدث الى ذلك الشخص · حتى شعرت بأنك ربما تخلط بينى وبين شخص آخر عزيز عليك ·· وقد يكون مرجع ذلك أننى أشبه ذلك الشخص ··· أو أن ذاكرتك قد اعتراها الضعف والوهن يوما ما · فاختلط عليك الامر بينى وبين مخلوقة أخرى تكمن فى زاوية ما من زوايا الماضى ·

·· وكل رجائى أن تغفر لى ما قد أسببه لك من خيبة الامل · وحسبنا أن نظل أصدقاء ·

« كيتى »



وذهبت فى الصباح الى ادارة الشركة كالمعتاد · وعندما لم يصل رينير حتى الساعة العاشرة اتصلت تليفونيا بالنادى حيث أمضى ليلته ، وعلمت من البداية أنه غادر المكان فى

الساعة التاسعة فى سيارة سوداء ذات مقعدين ·
ـ ولكنها ليست سيارته ؟
ـ اجل يا سيدى ، ولكن هكذا رأيته ، ولقد قال وهو يودعنى أنه ذاهب فى مهمة ولن يعود حتى يفرغ منها ·

وبدأ القلق يخامرنى ، ورأيت من الحكمة أن أسرع الى قصر ستورتون لاتبين حقيقة الموقف خاصة وأن الحالة الدولية كانت تنذر بالسوء ويخشى معه اعلان الحرب فى أى لحظة وأن تهاجم البلاد باسراب الطائرات فى أى وقت ·

وبادرت فألفيته قد اعتذر عنمواعيده التجارية بانشغاله فى الموقف السياسى وعن مواعيده السياسية بانهماكه فى أعماله التجارية · وبعد أن أمضيت النهار أعمل بلا انقطاع أسرعت الى القصر فبلغته قبيل الغروب ·

وكان شيلدون أول من قابلت · قال لى وهو يسير بى الى حجرتى :

ـ هل تركت مستر رينير فى المدينة ··· ؟

وترددت قليلا ثم قلت له :

ـ أجل ···

ـ ستعود اليه غدا اذن !؟

ـ أظن ذلك !

ـ وما رأيك فى الموقف السياسى وماذا تتوقع أن يحدث ؟

ـ لقد اكفهر الموقف فجأة ·· ولست أدرى ماذا يمكن أن يحدث ··

ـ أعنى ماذا تظنه يحدث لمستر رينير ؟

وتطلعت اليه فى دهشة بينما استأنف يقول وهو بالباب يهم بالانصراف :

ـ لقد ذكرت منذ برهة أنه فى المدينة ؟
ـ لم أقل ذلك ••• بل قلت اننى تركته هناك •
ـ ألا تدرى أين هو الآن ؟
ـ كلا
ـ ألا يبدو هذا غريبا •• ؟
ـ وكم من أمور غريبة
ـ أتشعر بقلق عليه ، معذرة اذا وجهت اليك هـذا السؤال لان لدى أسبابا خاصة تدعو لذلك
ـ انى واثق من ذلك ، ولربما كانت هى نفس الاسباب التى تدعونى الى عدم الاجابة
ـ وعاد أدراجه الى وسط الحجرة وقال :
ـ مستر هاريسون ••• هل ذهب ليبحث عن شخص ما ؟
ـ أعتقد انه ليس فى مقدورى أن أتناول مثل هـذه المسائل •• ولـكن لنفرض أن هـذا حقيقى فماذا فى الامر ؟
فأطرق برأسه وابتسم فى دهاء وقال :
ـ فى هذه الحالة لا موجب لأن تقلق
ـ لماذا ؟
ـ لأنه لن يعثر مطلقا على الشخص الذى يبحث عنه ••
وغادر الحجرة على الأثر ••

ودعيت الى العشاء بعد قليل وعندما قصدت الى حجرة المائدة ألفيت شيلدون والسيدة رينير فى خلوة بها • وأدركت من نظراتهما اننى كنت موضوع الحديث • وضمت المـائدة بعض الضيوف بالمثل •• وانتقلنا بعد العشـاء الى قاعة التدخين • وفوجئت عندما سـمعتها تعتذر للضـيوف عن اضطرارها للانسـحاب معى الى حجرة المكتبة بعض الوقت

لاعرض عليها بعض الشئون .
وأغلقت الباب خلفها ثم دعتنى للجلوس فى مقعد وثير امامها ثم قالت :

ـ لقد وفرت على مشقة الذهاب الى لندن غدا والمرور على ادارة الشركة للاستفسار عن بعض أمور ..
فأجبتها على الفور منتهزا الفرصة :
ـ خاصة وان المستر رينير قد لا يكون موجودا هناك
ـ أوه .. والى أين ذهب ؟
ـ لست أدرى حقا .. لم يخبرنى ..
وساد الصمت بيننا كأنما لا تجد ما تقوله ..
ورأيت أن أمهد للحديث ثانية فقلت :
ـ عن أى شىء كنت تريدين الاستفسار ؟

ـ ربما أمكنك أن تجيب . أردت أن اعرف لماذا ذهبت وشارلز الى ملبورى بالسيارة فى تلك الليلة ؟ ولا تلم السائق هانسون ، لأنه عندما سمعكما تتحدثان عن زيارة ملبورى لم يدرك انه يصغى لسر خاص ..
ـ ليس فى الامر سر البتة
مشكلة غامضه اذن .. ؟
ـ ولهذا فقط أردت الذهاب الى لندن ؟
أجل .. لقد استولى على الفضول
ـ كان بوسعك أن تستفسرى تلفونيا ؟
فأجابت وهى تضحك :

أردت أن أرى وجهيكما عندما أوجه اليكما هذا السؤال .. لأن ملبورى من الأحياء القديمة التى لا يذهب اليها كل انسان
وخطر لى انها يجب أن تعرف .. يجب أن تعرف كل

شيء قبل أن تواجه المسكينة بالقدر المحتوم · ولن أجد أفضل من الفرصة السانحة لاصارحها بكل شيء ·

ـ لقد أمضى مستر رينير بعض الوقت في احد مستشفيات ملبوري ··

ولمحت في عينيها بريقا عميقا لم يلبث أن خبا وعادت الابتسامه الهادئة تشيع على وجهها وقالت :

ـ كما كان في مستشفيات أخرى بالمثل ·· فلماذا خصصتم ملبوري بالزيارة في مثل تلك الليلة المطيرة ؟ أما ذهابه الى المستشفى فكان بسبب جرحه في الحرب · لعلك تعرف هذه المسائل ؟

ـ أجل ··

ـ من أنبأك بها ·· ؟

ـ هو نفسه

فبدا الارتياح عليها وقالت :

ـ يسرني أن اسمع ذلك ، ففيه الدليل على ثقته بك ، لأنه لا يحدث أحدا بمثل هذه المسائل ، حتى أنا ··

ـ عجبا !!

ـ لا تعجب ، لأننا نقضي سويا وقتا قصيرا ، وكلما اجتمعنا تحدثنا عن السياسة أو غيرها من الموضوعات العامة · حقيقة ان زواجنا سعيد ولكن ···

ـ ولكنك تحبينه ؟

ـ وهل تظن غير ذلك ؟ انني أعبده ، ولست أنا فحسب ، بل وغيري من النساء أيضا ، ألم تلاحظ ان جميع النساء اللاتي اتصلن به في مختلف المناسبات شغفن به ؟

ـ وليس عجيبا أن يكون قد انتقى أجملهن وأفضلهن ·

ـ أشكر لك هذا الاطراء · كم كنت أود أن ترى الفتاة

التى كان قد خطبها عندما كنت أعمل كسكرتيرة له ، اظنك عرفت ذلك ؟ كانت أجمل منى وأصغر سنا وكانت تدعى «كيتى» ولكنها تركته فجأة وتزوجت من آخر ثم توفيت فى بلاد الملايو ، ولست أدرى لماذا فصمت الخطوبة ، ولو انها تزوجت منه لوفقا فى زواجهما

ـ اذن كنت تعرفينها ؟

ـ كنت أتحدث اليها أحيانا كلما أقبلت الى المكتب لتقابل شارلز

ـ وهل لى أن أسأل ـ ان لم يسؤك ذلك ـ هل كنت تحبينه فى ذلك الوقت ؟

ـ اجل .. بل ليس من ذلك الوقت فحسب ، بل منذ وقعت عيناى عليه أول مرة

وساد الصمت بيننا برهة أشعلت خلالها لفافة تبغ ثم قدمت لى أخرى ، وقلت لها :

ـ والآن أعود لموضوع زيارتنا للبورى اذ أرى من الأفضل أن أوضح لك كل شىء

وشرعت أذكر لها كيف ان زوجها أمضى ثلاث سنوات فاقد الذاكرة وانه خلال هذه المدة ـ وتحت اسم آخر ـ أحب فتاة كانت تعطف عليه عطفا شديدا ، بل يرجع اليها الفضل فى شفائه ثم تزوج منها فحملت وكانت على وشك الوضع عندما صدمته السيارة فأعادت اليه ذاكرته وتذكر شخصيته الاولى ناسيا فى الوقت نفسه جميع مامر به خلال هذه السنوات الثلاث ، وكيف أنه بعد أن تبين أخيرا ما حدث وتذكر جميع ما مر به خلال هذه الفترة صمم على أن يبحث عن زوجته القديمة وطفله ..

ـ .. ولقد رأيت أن أحيطك علما بالموقف .. حقا ان العشرين عاما فترة ليست بالقصيرة بل لها أثرها فى قانونية

الموقف ولكن الذى أخشاه هو الفضيحة والتشهير وما الى ذلك ..

فقاطعتنى قائلة :

ـ وجدير به أن يقدر كل ذلك ..

ـ لقد نبهته اليه ولكنه صارحنى بأنه لا يبالى شيئا ..

فقالت فى دهشة وهى لا تزال تبتسم :

ـ لا يبالى .. ؟

ـ أجل .. وهذا أمر يؤسف له حقا ولكن ..

ـ ليس مؤسفا البتة ، بل مثيرا للعجب والاعجاب .. طالما انه يضحى بمستقبله ومطامعه وشهرته وكل شىء .. فى سبيل العثور عليها .. هذا وفاء يستحق الثناء

ـ ذلك هو تقديره فى حالته الحاضرة

ـ ربما كانت حالته الحاضرة هى الحقيقة الدائمة .. وما عداها زائف مصطنع

ان الشىء الوحيد الذى نعرفه جميعا هو اننا لا نذكر الاشخاص الا فى آخر حالة تركناهم عليها . وعشرون عاما ليست بالمدة القصيرة .

فالتفتت الى وقد سطع بريق عينيها وقالت :

ـ تلك هى الحقيقة .. المؤلمة . كم أود لو انها بقيت كعهده بها منذ عشرين عاما . كم أود ان تحدث هذه المعجزة .. فيعود الزمن بنا عشرين عاما الى الوراء .. أريده أن يكون سعيدا .

وقدمت لى كأسا من الشراب وهى تقول :

ـ لعله افضى اليك بتفاصيل أخرى . كأسماء اشخاص أو أماكن مثلا ؟

اجل .. حدثنى بالشىء الكثير

ـ هل انبأك أين قابلها وكيف تزوجها ؟
ـ كانت أول مقابلة يوم الهدنة فى ملبورى ، وفاتحها فى الزواج فى قرية تدعى « بتشنج أوفر » ..

وأخذت استرسل فى ذكر التفاصيل التى سمعتها من شارلز ، وهى منصرفة الى الشراب وكلما توقفت توسلت الى ان اسمعها المزيد من هذه التفاصيل ، لست أدرى أكانت تفعل ذلك بدافع الفضول أم من مرارة الحقد .

وختمت حديثى قائلا :
ـ اننى لا أبغى من وراء ذلك سوى ان احول دون عنف المفاجأة وغاية رجائى ان أقدم لكما ما فى وسعى من المساعدة

فقالت :
ـ لست أدرى كيف اشكرك ، ولست أدرى بالمثل كيف يمكنك ان تساعدنا ..

وأيقظنى شيلدون فى الساعة السابعة لاستمع الى نشرة الاخبار الصباحية . وعلمت منها أن الجو السياسى لا يزال مكفهرا وان لا مناص من وقوع الكارثة . واتصلت بادارة الشركة فعلمت انه لم يصلهم من شارلز نبأ .

وبعد ان رفعت مائدة الافطار شرع الضيوف فى الانصراف مسرعين الى لندن بسبب تحرج الحالة الدولية وكان بينهم فنان فى ريعان الشباب أعلن انه سيلتحق بسلاح الطيران فورا اذا ما أعلنت الحرب .

وقالت السيدة رينير معلقة على ذلك بعد ان انصرف :
ـ اننى أشعر بعطف شديد على هذا الشاب ، وان شارلز ليشعر بنفس العطف نحوه . ولعل سبب هذا العطف انه كان لى ولد يوما ما .. ثم توفى ..

فقلت فى دهشة :

– ما كنت أعلم ذلك ..

– اتعلم ان شارلز جدير بان يكون نعم أب ؟

– أجل .. ولاشك ان بقاءكما بلا خلف للآن يسبب له بعض الألم .

وأمضينا بعض الوقت فى احاديث متفرقة انتظـــارا لموعد نشرة الاخبار التالية . وما ان استمعنا اليها حتى علمنا ان الكارثة قد وقعت وان الالمان قد اجتازوا الحدودالبولندية. لقد بدأت آلة الحرب تدور ..

قالت السيدة رينير :

– لا يمكنني ان احتمل هـذا .. ولست أدرى كيف أقضى الساعات الطويلة بين مواعيد نشرات الأخبار .. هيابنا تذهب الى أية جهة أخرى ..

ورافقتنى الى سيارتها الصغيرة المـكشوفة فجلست فى مقعد القيادة واجلستنى الى جوارها ثم ادارت المحرك واندفعت السيارة مبتعدة عن القصر تخترق المزارع والحقـول وتطوى الطرقات الطويلة فى سرعة البرق .

وجلست أمتع الطرف بالمنـاظر الطبيعية الخلابة التى كنا نمر بها فى ذلك الصباح الجميل . وعندما طالت بنـــا الرحلة خطر لى ان استفسر عن وجهتنا . فسألتها :

– الى أين .. ؟

فأجابتنى على الفور :

– الى مكان ما فى انجلترا ، عـــلى حـد تعبير نشرات الاخبار

واستمرت السـيارة تندفع بنا فى غير هــوادة . ولا تبطوء فى المنحنيات الا لتستأنف سرعتها بعد ذلك وحدث ان تمهلت فى منحن حاد تقوم عنده لوحة كبيرة من عـلامات

الطرق عليها اسماء بعض البلاد . وما ان وقع نظرى عليها حتى صحت بها :

– ارأيت هذه اللوحة ؟

– أجل .. لقد أردت الحضور الى هنا .

– ولكن .. انك تعذبين نفسك

أعاهدك ان احتفظ برباطة جأشى وان لا أحدث أى شغب .. الا ترانى هادئة . ؟

لقد انتهى ماضيه فى هذا المكان ..

– وسيبدأ مستقبلنا منه ليعود بنا الى الماضى

وأقبلنا على قرية صغيرة تقوم فيها اكواخ جميلة من صميم الريف الانجليزى .

وعندما بلغنا مكتب البريد شعرت بهزة عنيفة اذ وقع نظرى على سيارة سوداء ذات مقعدين . وطلبت اليها ان تتوقف وأسرعت الى السيارة السوداء اتفقد رخصتها . وأبصر بى رجل كان يقف قريبا منها فسألنى : أتبحث عن السيد الطويل القامة الذى جاء فى هذه السيارة ؟

– أجل ..

– لقد سار الى التل ..

وعدت الى السيدة رينير فسألتنى :

– أهو شارلز .. ؟

هكذا أظن اذا كان وصف بواب النادى للسيارة صحيحا

وعدنا أدراجنا ثم انحرفنا الى طريق فرعى يؤدى الى التل .. قلت :

ـ يخيل الى أن المكان لم يتغير ..

وأجابت وهى شاردة الذهن تتطلع الى الامام كما لو كانت فى حلم عميق ..

ـ مثل هذه الأماكن الطبيعية لا تتغير بعد الف من السنوات ...

ـ وتكون العشرون عاما كالأمس القريب ..

وساد الصمت بيننا قليلا ثم سألتها :

ـ ماذا ستقولين له اذا قابلتيه ؟

ـ لست أدرى .. ولن أدرى قبل أن أراه ..

ـ لاشك أنه سيدهش لماذا جئنا الى هذا المكان دون أى مكان آخر فى انجلترا بأسرها .

فقالت وهى تبتسم :

ـ وسنسأله بالمثل لماذا جاء ... والافضل أن يزعم كلانا أنه جاء ليرى المقاطعات الخمس ..

وغادرنا السيارة وواصلنا السير على الأقدام وما أن بلغنا القمة حتى رأيناها تعود فتنحدر ، ثم ترتفع كقمة ثانية وفى الفراغ القائم بينهما بحيرة صغيرة

وأبصرت رجلا ممددا بجوار البحيرة وهو مبسوط الذراعين كأنما القى بنفسه الى الأرض .. ولم يتحرك ونحن ندنو منه ولكننى أبصرت الدخان يرتفع من لفافة بين أصابعه

ـ انه ليس نائما ... انه يستريح فحسب

وتأملت عينيها واهتزاز شفتيها . وخطرت لى الحقيقة فجأة وارتفع الحجاب عن عينى وادركت كل شىء بجلاء ، فصحت بها :

ـ ألا تنبئيننى كيف عرفت المقاطعات الخمس ... ؟

ولكنها لم تجب ، بل اندفعت هابطة الى حيث كان . وتوقفت على مقربة منه وظل كل منهما يتطلع الى الآخر فى هدوء وسكون .. ثم همس شيئا لم أسمعه . ولكنى أدركت فى لمحة أن الثغرة قد سدت وأن الماضى قد اتصل بالحاضر والمستقبل .

وأدركت هى نفس الشىء اذ رأيتها تندفع نحوه مفتوحة الذراعين وهى تصيح :

ـ سميث ... سميث ... اننى لا أزال معك وأرجو أن لا أكون قد تأخرت .

تمت

مراجعة : عبده عبد الرحمن المسلوت

روايات عالمية

صدر منها حتى الآن

الرقم	الكتاب
١	ـ اللؤلؤة
٢	ـ امرأة مقامرة
٣	ـ الأرض الطيبة
٤	ـ البعث
٥	ـ الاباء والابناء
٦	ـ ابن الشعب
٧	ـ المليونيرة
٨	ـ ربيكا
٩	ـ جريمة حب
١٠	ـ بول وفرجينا
١١	ـ الخاطئة
١٢	ـ الاب والابن
١٣	ـ غادة الكاميليا
١٤	ـ جاسوسة ستالين
١٥	ـ الشقيقان
١٦	ـ عدالة السماء
١٧	ـ الكلب الجهنمي
١٨	ـ تراس بولبا
١٩	ـ أحدب نوتردام
٢٠	ـ الوشاح الاحمر
٢١	ـ الخطايا السبع
٢٢	ـ القرصان
٢٣	ـ الخطيئة الكبرى
٢٤	ـ الرجل الضاحك
٢٥	ـ فاجعة أمريكية
٢٦	ـ هيلين
٢٧	ـ جريمة فى قطار الشرق
٢٨	ـ مغامرات شرلوك هولمز
٢٩	ـ عودة القرصان
٣٠	ـ روميو وجولييت
٣١	ـ فرنكشتاين
٣٢	ـ دراكيولا
٣٣	ـ روبين هود
٣٤	ـ سر الدكتور فومانشو
٣٥	ـ البطل
٣٦	ـ الشرف
٣٧	ـ كازانوفا
٣٨	ـ هى أو عائشة
٣٩	ـ الغيرة
٤٠	ـ سقطة قديس
٤١	ـ سيرانو دى برجراك
٤٢	ـ مانو ليسكو
٤٣	ـ الاطلانطيد
٤٤	ـ مدام بوفارى
٤٥	ـ الغفران
٤٦	ـ الملاك الازرق جـ ١

الرقم	الكتاب
٤٦	ـ الملاك الازرق جـ ٢
٤٧	ـ ليدى هاملتون
٤٨	ـ الوحل
٤٩	ـ ولدى ـ ولدى جـ ١
٥٠	ـ ولدى ـ ولدى جـ٢
٥١	ـ الجاسوس
٥٢	ـ شيرى
٥٣	ـ الاربعة الكبار
٥٤	ـ المقصلة
٥٥	ـ انا كارنينا جـ ١
٥٦	ـ انا كارنينا جـ ٢
٥٧	ـ باردليس
٥٨	ـ صانع الملوك جـ ١
٥٩	ـ صانع الملوك جـ ٢
٦٠	ـ عرين الاسد
٦١	ـ الخيانة العظمى جـ ١
٦٢	ـ الخيانة العظمى جـ ٢
٦٣	ـ كليوباترا جـ ١
٦٤	ـ كليوباترا جـ ٢
٦٥	ـ الرجل ذو القناع الحديدى الجزء الأول
٦٦	ـ الرجل ذو القناع الحديدى الجزء الثانى
٦٧	ـ كنوز الملك سليمان
٦٨	ـ الفرسان الثلاثة
٦٩	ـ ابن السلطان
٧٠	ـ الطبل
٧١	ـ عودة شرلوك هولمز
٧٢	ـ ايفان الهائل
٧٣	ـ الافق المفقود
٧٤	ـ الفريزة
٧٥	ـ النطاق السام
٧٦	ـ يوم الدينونة
٧٧	ـ الطاغية
٧٨	ـ المتهمة
٧٩	ـ فوق الشبهات
٨٠	ـ الرسائل السوداء
٨١	ـ العودة
٨٢	ـ الملكة كريستينا
٨٣	ـ الطبيب
٨٤	ـ الفنان
٨٥	ـ البوهيمية
٨٦	ـ صفيرى
٨٧	ـ الانتقام الرهيب
٨٨	ـ راسبوتين
٨٩	ـ روفائيل
٩٠	ـ الامهات
٩١	ـ ابناء الالزاس
٩٢	ـ الجريمة والعقاب
٩٣	ـ مارى انطوانيت
٩٤	ـ المسرح العائم
٩٥	ـ الحب الجائر

العدد القادم :

البيت الصامت

رواية بوليسية رائعة الحوادث

للكاتب الانجليزى

جون براندون

العدد ١٩١

الدار القومية للطباعة والنشر
١٥٧ شارع عبيد ــ روض الفرج
تليفون ٤٠٥٨٨ ـ ٤٠٨١٤ ـ ٤٠٧٥٣ ـ ٤١٠١٢ ـ ٤٥٣٤٦